الإبدال اللغوي
بين الصَّوامت في القراءات القرآنيَّة

الأستاذ الدكتور

عادل محمد إبراهيم حسن

أستاذ أصول اللغة في كلية الدراسات الإسلامية والعربية بكفرالشيخ جامعة الأزهر
والوكيل السابق في كلية الدراسات الإسلامية والعربية بدسوق

الناشر

دار الآفاق العربية

حسن ، عادل محمد ابراهيم

الإبدال اللغوي بين الصوامت في القراءات القرآنية

ط 1 ، القاهرة : دار الآفاق العربية 2016

114 ص ، 24 سم

1- ***القرآن – القراءات .***
2- ***الإبدال .***

أ. العنوان 228

تدمك : 978-977-344-341-2

رقم الإيداع : 25450/ 2015

الطبعة الأولى

1437 هـ / 2016 م

نشر – توزيع – طباعة

55 شارع محمود طلعت من ش الطيران

مدينة نصر – القاهرة

تليفون : 22617339 -00202 تليفاكس : 00202-22610164

Email: dar.alafk@yahoo. Com

Email : selim.selim10@yahoo.com



بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله صاحب العزَّة والملكوت , أعزَّ العربية بنزول القرآن الكريم بها فحفظها وحفظه , وأتمَّ على المسلمين نعمة اليقين , والصَّلاة والسَّلام على من وحَّد برسالته بين أجناس البشر فتآلفت قلوبهم , وارتقت في العلا منزلتهم , وعلى آله وأصحابه أولى العقول الراجحة والقلوب الخاشعة المتضرعة وسلِّم اللّهم تسليمًا كثيرًا .

أما بعد،،،

فلمَّا كانت اللغة العربية تمثِّل جزءًا رئيسًا من الدِّين الإسلامي الذي تعيش لأجله ومن أجله هذه الأمة تعدَّدت حولها الدِّراسات وتكاثرت إسهامًا في إعلاء شأن هذه اللغة , وجعلها دائمًا في مقدِّمة الصُّفوف بين لغات العالم , تبرز بينها كالطَّود الشَّامخ ثابتة الأركان محدَّدة الملامح والسِّمات .

وقد اهتمَّ علماء العربية بدراسة أولى لبنات هذه اللغة عن طريق دراسة الصَّوت اللغوي باعتباره أصغر وحداتها , والذي يمثِّل القاعدة الأساسية لبناء متكامل الأركان .

وقد برز من خلال تلك الدِّراسات الصَّوتية قضية حظيت باهتمام خاصٍّ عند علماء العربية قديمًا وحديثًا وهي قضية " الإبدال اللغوي " فصَنَّفوا فيها بعض المُصَنَّفات الخاصَّة بها[1] , أو ظهرت عندهم كقضية من أهمِّ القضايا[2] .

وربَّما كان الدَّافع لهذا الاهتمام هو أن الإبدال أصبح له " فائدة كبيرة في علم اللغة , فإن معرفة علل تبدل الحروف وأصولها القديمة مفتاح من مفاتيح علم الاشتقاق , فإنه هو الذي يكشف الصِّلة بين كلمات تباعدت أشكالها وضاعت معالم قرباها , سواء كانت في لغة واحدة أم في لغات مختلفة , فإن معرفة قوانين الإبدال هي التي تكشف لنا الصِّلة بين (ضرب و اضطراب) , و(غبن و جبن) و (غفر و كفر)[3] " .

---

(1) منها على سبيل المثال : كتاب الإبدال لأبي يوسف يعقوب بن السِّكيت , وكتاب الإبدال لأبي الطيِّب عبد الواحد بن على اللغوي , وسرِّ الليال في القلب والإبدال لأحمد فارس الشِّدياق .

(2) منها على سبيل المثال : كتاب سر صناعة الإعراب , وكتاب الخصائص لأبي الفتح عثمان بن جني , والمخصص لعلى بن أحمد بن سيده , والمزهر في علوم اللغة لعبد الرحمن جلال الدين السيوطي .

(3) فقه اللغة . محمد المبارك صـ 39 – مطبعة جامعة دمشق .

إضافة إلى أن الإبدال قد تحقَّق بصورة واسعة في ألفاظ اللغة العربية , حتى قيل : " قلما تجد حرفًا إلا وقد جاء البدل فيه ولو نادرًا[1] " .

فأصبح " من سنن العرب إبدال الحروف وإقامة بعضها مقام بعض[2] " .

وقد حاول علماؤنا التأصيل لهذه القضية ,ووضع الضَّوابط والقوانين الخاصَّة بها حتى لا تتشابه أو تختلط بغيرها من الظَّواهر الأخرى , فبذلوا في سبيل تحقيق ذلك جهدًا عظيمًا عنوانه الوفاء والإخلاص , حتى وُفِّقُوا في صنيعهم , واهتدوا إلى الثَّوابت التي تعتمد عليها تلك القضية , فأضحت جهودهم شمسًا ساطعة في سماء لغتنا العربية .

وقد حاولت قدر جهدي معالجة تلك القضيَّة عن طريق أعظم نصٍّ مقدَّس عرفته البشريَّة واستمدت منه وجودها , وهو القرآن الكريم بقراءاته الكثيرة المتنوِّعة , والتي تُعَدُّ مظهرًا من مظاهر إعجازه ؛ لأنَّ " من جوانب إعجازه – وما أكثرها – أن نقرأ كثيرًا من كلماته وجمله , بوجوه مختلفة , وتظل الأحكام والمعاني مؤتلفة , فلا نجد تناقضًا في الأحكام , ولا تعارضًا في المعاني , مما جعلني أقول مع القائلين : عندما تختلف القراءات وتختلف دلالاتها فكلُّ قراءة تُعتبر كأنَّها آية أخرى , بسبب المعنى الخاص الذي تؤدِّيه وحدها إلينا , وغيرها لا يؤدِّيه , وذلك أحد سمات الإعجاز لهذا الكتاب العزيز , لأنَّه تأدية الكثير من المعاني بالقليل من المباني "[3] .

وإذا كان محور الاختلاف بين القراءات القرآنيَّة ينحصر في سبعة أوجه , فإن الإبدال بين الصَّوامت يُعَدُّ وجهًا من تلك الوجوه السبعة , وهو ما ركزت تلك الدِّراسة عليه وأبرزته من خلال عنوان" الإبدال اللغوي بين الصَّوامت في القراءات القرآنيَّة[4] ", وذلك محاولة مني لبيان أهميَّة القراءة القرآنيَّة وأثرها الملحوظ في تأصيل جانب التيسيرعلى الأمة الإسلامية في هذا الباب المعروف باختلاف اللهجات العربية .

---

(1) المزهر في علوم اللغة للسيوطي .تحقيق . محمد جاد المولى وزميليه 1 / 461- الطبعة الثالثة د . ت .

(2) الصاحبي لابن فارس .تحقيق . السيد أحمد صقر صـ 333 – مطبعة الحلبي – دار إحياء الكتب العربية .

(3) الكشاف عما بين القراءات العشر من خلاف د. أحمد محمد إسماعيل البيلي صـ 14 – الدار السودانية للكتب – الطبعة الأولى 1419هـ - 1998م .

(4) وقد سبق أن قدَّمت دراسة خاصَّة بالتثليث الحركي في القراءات القرآنيَّة بعنوان " المثلَّث في القراءات القرآنيَّة " .

هذا ، وقد اشتملت هذه الدراسة على مقدمة وثلاثة مباحث وخاتمة .

المبحث الأول : ويشتمل على :-

أ- الإبدال في اللغة والاصطلاح .

ب- الإبدال وآراء العلماء .

ج- مُسَوِّغات الإبدال .

المبحث الثاني : ويشتمل على :-

أ- مخارج الصَّوامت العربية .

ب- صفات الصَّوامت العربية .

المبحث الثالث :

الإبدال اللغوي بين الصَّوامت في القراءات القرآنيَّة .

هذا , وقد تمَّ تحليل الألفاظ القرآنية داخل هذا المبحث من خلال المنهج التالي :-

أ- ذكر الصوتين محور التبادل مع ذكر اللفظة القرآنيَّة .

ب- ترتيب الصوتين ترتيبًا مخرجيًّا بدءًا بالحنجرة وانتهاءً بالشفتين .

ج- ذكر النَّصِّ القرآني مع بيان اسم السُّورة ورقم الآية .

د- نسبة كل قراءة إلى أصحابها بعد ذكر القراءتين .

ه- العلاقة الصَّوتية بين الصوتين .

و- الشَّرح والتَّحليل .

وفي الخاتمة ذكرت أهم النتائج التي توصَّلت إليها .

وبعد , فإن قدَّمت تلك الدِّراسة عملا جادًّا تستفيد منه المكتبة العربيَّة فذلك فضل الله يؤتيه من يشاء , وإن كان غير ذلك فأدعوه - عزَّ وجلَّ - أن يَمُنَّ عليَّ من فضله , ويشملني برحمته , ويغفر لي زلَّتي , إنه وليُّ ذلك والقادر عليه.

المبحث الأول

أ- الإبدال في اللغة والاصطلاح

ب- الإبدال وآراء العلماء

ج- مُسَوِّغات الإبدال

الإبدال في اللغة

الأصل في الإبدال : جعل شيء مكان شيء آخر[1] ، يقال : أبدلته بكذا إبدالا : نحَّيت الأول وجعلت الثاني مكانه , وبدَّلته تبديلا : بمعنى غيَّرت صورته تغييرًا [2] .

الإبدال في الاصطلاح

هو : " جعل حرف بدل حرف آخر من الكلمة الواحدة وفي موضعه منها لعلاقة بين الحرفين أو حركة مكان أخرى . أو هو تغيير صوت إلى آخر من الكلمة الواحدة وفي موضعه منها لعلاقة بين الصَّوتين بتأثير البيئة اللغوية المحيطة " [3] .

إذًا فالإبدال يحدث بين الأصوات اللغوية بفرعيها معًا – الصَّوامت والحركات [4] – , فجميع الحروف الهجائية بدءًا بالهمزة وانتهاء بالياء تُعَدُّ مادة خصبة لتطبيق نظرية الإبدال عليها , وكذلك جميع الحركات الطويلة – ألف المد وواو المد وياء المد - , وكذلك الحركات القصيرة – الفتحة والكسرة والضمة - , " فكل صوت لين عرضة بطبعه لأن ينحرف إلى صوت لين آخر , وكل صوت ساكن عرضة بطبعه لأن ينحرف إلى صوت آخر ساكن معه في مخرجه أو قريب منه[5] " .

---

[1] لسان العرب لابن منظور الإفريقي . تحقيق . عبد الله على الكبير وآخرين (ب د ل) 1 / 231 -مطبعة دار المعارف .

[2] المصباح المنير للفيومي صـ 15 – مكتبة لبنان – بيروت - 1990 م .

[3] قضايا ونظرات في فقه اللغة العربية د. إبراهيم محمد أبو سكين صـ 50 – الطبعة الثانية 1996 / 1997 م . وينظر : مقدمة كتاب الإبدال لأبي الطيب اللغوي . تصدير المحقق . عزِّ الدين التنوخي صـ 9 – دمشق 1379هـ - 1960م , واللهجات العربية د. إبراهيم محمد نجا صـ 71 – مطبعة السعادة – 1396هـ - 1976م , والاشتقاق . عبد الله أمين صـ 333 – مكتبة الخانجي بالقاهرة – الطبعة الثانية 1420هـ - 2000م , والتطور اللغوي التاريخي د . إبراهيم السامرائي صـ 110 – دار الأندلس - الطبعة الثالثة 1983م , واللهجات العربية نشأة وتطورًا . د . عبد الغفار حامد هلال صـ 120 – مكتبة وهبة – الطبعة الثانية 1414هـ - 1993م .

[4] وهذا النوع من الإبدال خارج نطاق الإبدال القياسي الصرفي الذي يضمه حروف (هدأت موطيًا) . ينظر : سر صناعة الإعراب لابن جني . تحقيق . مصطفى السقا وآخرين 1 / 283 -مطبعة الحلبي – الطبعة الأولى – 1374 هـ - 1954م , وشرح التصريح على التوضيح للشيخ خالد الأزهري 2 / 367 – دار إحياء الكتب العربية – فيصل عيسى البابي الحلبي , وحاشية الصبان على شرح الأشموني على ألفية ابن مالك 4 / 280 – دار إحياء الكتب العربية – مطبعة الحلبي .

[5] فقه اللغة د . على عبد الواحد وافي صـ 141 – دار نهضة مصر .

وهذا النوع من الإبدال " إنما يقتصر على النَّقل والسَّماع , دون أن يكون قياسيًّا يسمح للناطق بصوغ أمثلة جديدة في اللغة , فالدِّراسة في مادته تقف عند حدود الجمع والوصف والمقارنة والاستنتاج , دون أن تتجاوز ذلك إلى سَنِّ قواعد قياسية إنشائية[1] " .

الإبدال وآراء العلماء

أثبت كثير من علماء العربية أن قضية الإبدال قد تحقَّقت في العربية بصورة واسعة , وسيطرت على كثير من ألفاظها , ولكن عند وضع القانون العام لتلك القضية وتحديد القول الفصل فيها تعدَّدت آراؤهم قديمًا وحديثًا حتى برزت إلى السَّاحة اللغوية ثلاثة اتجاهات بيانها كما يلي :-

الاتجاه الأول : الخلاف اللهجي

ويمثِّل هذا الاتجاه أبو الطيب اللغوي وطائفة من القدامى إضافة إلى كثير من المحدثين , حيث إن اختلاف اللهجات العربية هي الضَّابط الرئيس في نظرهم لتحقيق تلك القضية , حيث يقول أبو الطيب : " ليس المراد بالإبدال أن العرب تتعمد تعويض حرف من حرف , وإنما هي لغات مختلفة لمعان متفقة , تتقارب اللفظتان في لغتين لمعنى واحد , حتى لا يختلفا إلا في حرف واحد ، قال : والدَّليل على ذلك أن قبيلة واحدة لا تتكلم بكلمة طورًا مهموزة وطورًا غير مهموزة , ولا بالصَّاد مرة , وبالسِّين أخرى ؛ وكذلك إبدال لام التعريف ميمًا , والهمزة المصدرة عينًا ؛ كقولهم في أنْ عنْ , لا تشترك العرب في شيء من ذلك , إنما يقول هذا قوم وذاك آخرون[2] " .

وقد ظهر في بعض نصوص كتاب " الإبدال " لابن السِّكيت أنه يؤيِّد هذا الاتجاه عندما قال : " وقلت لأعرابي : أتقول : مثل حَلك الغراب أو حَنكه ، فقال : لا أقول حلَكه[3] " .

وفي هذا دلالة على أن نطق هذه الكلمة باللام ليس من خصائص قبيلته إنما النطق بالنون هو السائد عندهم .

---

(1) القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث د . عبد الصبور شاهين صـ 73 – بتصرف يسير – مكتبة الخانجي بالقاهرة – 1966م .

(2) المزهر 1 / 460 .

(3) الإبدال لأبي يوسف يعقوب بن السكيت . تحقيق . د . حسين محمد شرف صـ 67 – الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية – القاهرة 1398هـ - 1978م .

وعلى ذلك فابن السِّكيت يرى أنه من الممكن تحقيق الإبدال داخل محيط البيئة الواحدة , بدليل ما ورد عن العرب يؤيِّد ذلك , وإلا فهو من قبيل اختلاف اللهجات , حيث يقول : " وحضرني أعرابيَّان من بني كلاب فقال أحدهما إنْفَحَة , وقال الأخر مِنْفَحَة , ثم افترقا على أن يسألا جماعة الأشياخ من بني كلاب , فاتَّفَق جماعة على قول ذا , وجماعة على قول ذا , وهما لغتان[1] " .

وهنا نرى أن ابن السكيت قد تصور إمكان وقوع الإبدال في البيئة الواحدة , فكلا الأعرابيين من بني كلاب[2] .

وقد أبدى ابن جني ميلا لاتجاه ابن السكيت اعتمادًا على أن العربي الفصيح ربَّما يجتمع في كلامه لغتان فصاعدا , وذلك من خلال " باب في الفصيح يجتمع في كلامه لغتان فصاعدًا ", حيث يقول فيه : " ومن ذلك قولهم : بغداد , وبغدان ، وقالوا أيضًا : مغدان , وطبرزل , وطبرزن ... وما اجتمعت فيه لغتان أو ثلاث أكثر من أن يحاط به , فإذا ورد شيء من ذلك – كأن يجتمع في لغة رجل واحد لغتان فصيحتان – , فينبغي أن تتأمَّل حال كلامه ؛ فإن كانت اللفظتان في كلامه متساويتين في الاستعمال , كثرتهما واحدة , فإن أخلق الأمر به أن تكون قبيلته تواضعت في ذلك المعنى على ذينك اللفظين ؛ لأن العرب قد تفعل ذلك للحاجة إليه في أوزان أشعارها , وسعة تصرف أقوالها ، وقد يجوز أن تكون لغته في الأصل إحداهما , ثم إنَّه استفاد الأخرى من قبيلة أخرى . وطال بها عهده , وكثر استعماله لها , فلحقت – لطول المدة واتصال استعمالها – بلغته الأولى[3] " .

وقد أفصح ابن دُريد عن تأييده لاتجاه أبي الطيب عندما ذكر عن أبي حاتم قوله : " قلت لأم الهيثم : كيف تقولين أشد سوادًا ممَّاذا ؟ قلت : من حَلَك الغراب ، قلت : أفتقولينها من حَنَك الغراب ؟ فقالت : لا أقولها أبدًا[4] " .

---

(1) إصلاح المنطق لابن السكيت . تحقيق . أحمد محمد شاكر , وعبد السلام محمد هارون صـ 175 , 176 – دار المعارف – الطبعة الرابعة 1368هـ – 1949م . وينظر : المزهر 1 / 475 .

(2) من أسرار اللغة د . إبراهيم أنيس صـ 72 – مكتبة الأنجلو المصرية – الطبعة السادسة 1978م.

(3) الخصائص لابن جني . تحقيق . محمد على النجار 1 / 373 – الهيئة المصرية العامة للكتاب – الطبعة الثالثة 1407هـ - 1987م .

(4) المزهر 1 / 475 .

ومن أنصار هذا الاتجاه أيضًا ابن خالويه , حيث ذكر في شرح الفصيح : " أخبرنا ابن دريد عن أبي حاتم عن الأصمعي قال : اختلف رجلان في الصَّقر , فقال أحدهما بالسِّين وقال الآخر بالصَّاد , فتحاكما إلى أعرابي ثالث , فقــال : أما أنا فأقول الزَّقر بالزاي , قال : ابن خالويه : فدل على أنها ثلاث لغات[1] " .

وهذه النُّصوص تؤكِّد على أن نطق بعض الكلمات العربية بصورتين مختلفتين لمعنى واحد مرده الأساسي إلى اختلاف اللهجات العربية .

وقد أيَّد هذا الاتــجــاه كثير من الـمحدثين منهم الدكتور / على عبد الواحد وافي , حيث يقول : " ويرجع السبب في كثير من ظواهر هذا التناوب إلى اختلاف القبائل في النطق بأصوات الكلمة ، فمادة كشط مثلا كانت تنطقها قريش بالكاف على حين أن أسدًا وتميمًا كانت تنطقانها بالقاف[2] " .

وهذا الرأي هو ما ذهب إليه أيضًا الدكتور / إبراهيم السامرائي , حيث ذكر بعد عرضه لآراء القدامى والمحدثين في تلك القضية قوله : " وأريد أن أخلص من هذا العرض لأقوال القدامى والمحدثين في هذه المشكلة إلى أن العربية قد اشتملت على لغات عدَّة هي لغات القبائل المختلفة ، وطبيعي أن يحصل الخلاف بين هذه اللغات لاختلاف البيئة , وعلى هذا فإن كثيرًا مما حمل على الإبدال داخل ضمن هذه اللغات . وعلى هذا فليس هناك إبدال بل هناك اختلاف بين المعربين فالذي يقول " صراط " لا يقولها بالسين " سراط " والعكس حاصل أيضًا ... أريد أن أقول : إن اللغة فطرة وبداهة فالذي يقول " مدحه " لا يمكن أن ينسرح لسانه فيقول "مدهه " والعكس صحيح أيضًا ... وعلى هذا فلم نعدم أن نجد بين الأقدمين من نظر إلى هذه المشكلة النَّظر الصَّحيح , فقد قال أبو الطيب : ليس المراد من الإبدال أن العرب تتعمد تعويض حرف من حرف , وإنما هي لغات مختلفة لمعان متفقة[3] ... " .

وقد حاول بعض العلماء أن يفرِّق بين الإبدال وما وقع نتيجة اختلاف اللهجات , حيث يحدث الإبدال من وجهة نظره إذا وقع داخل محيط البيئة الواحدة وإلا فهو من قبيل اختلاف

---

(1) السابق الجزء نفسه والصفحة .

(2) فقه اللغة صـ 185 .

(3) التطور اللغوي التاريخي صـ 112 , 115 .

اللهجات , حيث يقول البطليوسي في شرح الفصيح : " ليس الألف في الأرَقَان ونحوه مبدلة من الياء , ولكنهما لغتان , ومما يدل على أن هذه الأحرف لغات ما رواه اللحياني قال : قلت لأعرابي : أتقول مثل حَنَكِ الغراب أو مثل حَلَكه ؟ فقال : لا أقول مثل حَلكه , حكاه القالي[1] " .

الاتجاه الثاني : كثرة التَّصرف والاستعمال

ويمثِّل هذا الاتجاه عالم العربية ابن جنِّي والذي يرى أن الحكم على كلمات هذا الباب التي اتفقت في المعنى واتحدت في جميع حروفها ماعدا حرفًا واحدًا من قبيل الإبدال إذا اتضحت أصالة إحداها بكثرة تصرُّفها واستعمالها , وفرعيَّة الأخرى بقلَّة ذلك , فتكون الأولى هي الأصل المبدل منه , والثانية هي الفرع المبدل , سواء أكان ذلك داخل محيط القبيلة الواحدة أم بين القبائل العربية جميعًا , وإذا لم يمكن الحكم بذلك عُدَّت من قبيل اختلاف اللهجات[2] .

وقد عقد ابن جنِّي في (خصائصه) (بابًا في الحرفين المتقاربين يُستعمل أحدهما مكان صاحبه) يقول فيه : " فمتى أمكن أن يكون الحرفان جميعًا أصلين كل واحد منهما قائم برأسه لم يَسُغ العدول عن الحكم بذلك . فإن دلَّ دالٌّ أودَعَت ضرورة إلى القول بإبدال أحدهما من صاحبه عُمِل بموجب الدَّلالة , وصير إلى مقتضى الصَّنعة ، ومن ذلك سُكْر طَبَرْزَل وطَبَرْزَن : هما متساويان في الاستعمال , فلست بأن تجعل أحدهما أصلا لصاحبه أولى منك بحمله على ضده . ومن ذلك قولهم : هتلتِ السماء , وهتنت : هما أصلان ؛ ألا تراهما متساويين في التَّصرف ؛ يقولون : هتنت السماء تَهْتِن تَهْتانًا , وهتلت تهتِل تهتالا , وهي سحائب هُتَّن , وهُتَّل ... وكذلك قولهم : رجل (خامِل) و (خامِن) النون فيه بدل من اللام ؛ ألا ترى أنه أكثر , وأن الفعل عليه تصرَّف , وذلك قولهم : خَمَل يَخْمُلُ خُمُولا وكذلك قولهم : قام زيد فُمَّ عمرو , الفاء بدل من الثاء في ثُمَّ , ألا ترى أنه أكثر استعمالا[3] " .

---

[1] المزهر 1 / 474 , 475 .

[2] ويوافقه في هذا الرأي ابن سيده وابن يعيش . ينظر : المخصَّص لابن سيده 1 / 94 وما بعدها – دار إحياء التراث العربي – بيروت – لبنان – الطبعة الأولى 1417هـ - 1996م , وشرح المفصَّل لابن يعيش 1 / 7 وما بعدها – عالم الكتب – بيروت .

[3] الخصائص 2 / 84 : 86 .

وفي نهاية هذا الباب يتمُّ تقرير هذا المقياس مرَّة أخرى والتأكيد عليه من خلال قوله : " فعلى هذا الاعتبار ينبغي أن يتلقَّى ما يرِد من حديث الإبدال إن كان هناك إبدال , أو اعتقاد أصلية الحرفين إن كانا أصلين[1] " .

ولكن يبدو أن ابن جني لم يكن ليعتد بهذا المبدأ الذي قرَّره في تطبيقه لأمثلة هذه الظاهرة , وهذا ما اتَّضح من بعض النُّصوص التي أوردها في بعض كتبه , حيث يقول في " سر صناعة الإعراب " : " وقال خَطَر بيده يَخطِر , وغَطر يَغْطِر , فالغين كأنها بدل من الخاء لكثرة الخاء وقلة الغين , وقد يجوز أن يكونا أصلين إلا أن أحدهما أقل استعمالا من صاحبه[2] " .

ويقول في " الخصائص " :" فأما قولهم : ما قام زيد بل عمرو , وبَنْ عمرو فالنُّون بدل من اللام , ألا ترى إلى كثرة استعمال (بل) وقلة استعمال (بَنْ) والحكم على الأكثر لأعلى الأقل . هذا هو الظاهر من أمره , ولست مع هذا أدفع أن يكون (بَنْ) لغة قائمة برأسها[3] " .

ويعلِّق على ذلك الدكتور / عبد الغفار هلال بقوله : " على أننا نلاحظ أن ابن جنِّي نفسه قد أحسَّ بضعف هذا المقياس في قرارة نفسه وظهر في تطبيقه بما يؤكِّد لنا تشكُّكه في صلاحيته ... ففي النَّصَّين السَّابقين دليل واضح على عدم اعتداد ابن جني بهذا المبدأ وتشككه فيه[4] " .

ومن هنا فإن ابن جنِّي قد جانبه الصواب في هذا المنهج ؛ وذلك " لأن مقياس التَّصرف لا ينبغي أن يعول عليه لجواز أن تكون الكلمة المحكوم بفرعيتها لقلَّة التَّصرف الوارد منها ليس لأمر راجع للكلمة , ولكن لأمر يرجع إلى استغناء العرب بتصرفات كلمة أخرى عن تصرفاتها , والاستغناء عادة عربيَّة , فقد استغنوا بترك عن ماضي يدع ويذر[5] , وعلى هذا فقصور الكلمة في التَّصرف لا يصح جعله مقياسًا لفرعية كلمة وأصالة أخرى لجواز أن يكون الاستغناء قد تطرق إليها[6] " .

---

[1] السابق 2 / 89 .
[2] سر صناعة الإعراب 1 / 247 .
[3] الخصائص 2 / 86 .
[4] اللهجات العربية نشأة وتطورًا صـ 127 , 128 .
[5] الخصائص 1 / 267 .
[6] اللهجات العربية د. إبراهيم نجا صـ 74 .

وكذلك لا يعول على كثرة الاستعمال ؛ وذلك لأنه " قد تبيَّن لدراسي اللغة أن بعض الألفاظ كتب له الذُّيوع والانتشار في عصر من العصور , وأهمل في عصر آخر , فتصير الكلمة بناء على هذا المقياس معرضة للأصالة والفرعية حسب الذُّيوع والإهمال في عصورها المختلفة , وهذا ما يجعل ذلك الأساس غير مستساغ[1] " .

هذا بالإضافة كما يرى مؤرِّخو اللغة أن اللغة تفقد 19٪ من كلماتها عبر ألف سنة ... وأنَّى لمستعمل اللغة أن يصل إلى ما اعتور اللفظة عبر تاريخها الطويل , كما أن ابن جنِّي عندما رأى أن التاء في النات وأكيات مبدلة من السين في الناس وأكياس قد نقض ما سبق أن قرَّره واعتمده في كشطت وقشطت , فقد تماثلت الظروف والعوامل دون تماثل النتيجة , حيث قال في قشطت : وليست القاف في هذا بدلا من الكاف ؛ لأنهما لغتان لأقوام مختلفين , على حين يقول في النَّات وأكيات : وقد أبدلوا التَّاء من السِّين , ولم يقل ما قاله في قشطت من عدم الإبدال ؛ لأن كشطت وقشطت لغتان لأقوام مختلفين , ولم يدر بخلد ابن جني أن إبدال السين تاء كالنَّات في النَّاس لهجة أيضًا وتنسب لأهل اليمن تُسمى بالوتم[2] .

الاتجاه الثالث : التَّطور الصَّوتي

ويمثِّل هذا الاتجاه الدكتور / إبراهيم أنيس والذي يرى أن قضية الإبدال اللغوي ظهرت نتيجة للتَّطور الصَّوتي الذي أصاب كلمات هذا الباب , والذي يدخل أحيانًا في باب اختلاف اللهجات , حيث يقول : " حين نستعرض تلك الكلمات التي فسِّرت على أنها من الإبدال حينًا , أو من تباين اللهجات حينًا آخر , لا نشك لحظة في أنها جميعًا نتيجة التَّطور الصَّوتي , أو أن الكلمة ذات المعنى الواحد حين تروى لها المعاجم صورتين أو نطقين ويكون الاختلاف بين الصورتين لا يجاوز حرفًا من حروفها , نستطيع أن نفسِّرها على إن إحدى الصُّورتين هي الأصل والأخرى فرع لها أو تطور عنها , غير أنه في كل حالة يشترط أن نلحظ العلاقة الصَّوتيَّة بين الحرفين المبدل والمبدل منه[3] " .

---

(1) السابق الصفحة نفسها .

(2) قضايا ونظرات في فقه اللغة د .إبراهيم أبو سكين صـ 54 , 55 . وينظر : المزهر 1/ 222 .

(3) من أسرار اللغة صـ 75 .

إذًا فالحكم من خلال هذا الاتجاه على تلك الكلمات التي اتحدت في جميع فروعها ماعدا حرفًا واحدًا من قبيل الإبدال إذا اتفق المعنى مع وجود علاقة صوتية بينهما , سواء أكانت هذه العلاقة عن طريق المخارج أم الصفات , وأما إذا اختلف المعنى أو انعدمت العلاقة الصَّوتية فلا يُسمَّى إبدالا , بل تُعَدُّ كل صورة أصلا مستقلا بذاته عن الأخرى .

وقد كانت الأمثلة الواردة في كتاب " الإبدال لابن السِّكيت " هي الـجانب التطبيقي لإبـداء هذا الرأي , حيث يقول الدكتور / إبراهيم أنيس : " ومعظم الكلمات التي رواها ابن السكيت في كتابه من هذا النوع الذي نلاحظ فيه الصلة الوثيقة بين الحرف الأصلي والحرف الجديد في الكلمة التي أصابها هذا التَّطور الصَّوتي , فما يسمى بالإبدال بين الهاء والهمزة أو الفاء والثَّاء , أو اللام والرَّاء , أو الدَّال والذَّال , إلى آخر ما جاء في كتاب ابن السِّكيت , كل هذا مما يمكن تفسيره لوضوح الصِّلة الصَّوتية بين كل حرفين . أما الذي يصعب تفسيره فيما رواه ابن السِّكيت فهو حين يحدثنا عن الإبدال بين الحاء والجيم , أو اللام والدَّال , أو الطَّاء والجيم , أو الفاء والكاف , أو الفاء والقاف . ويجدر بنا في مثل هذه الأحوال ألا نربط بين الصورتين , بل أن نعد كلا منهما صورة أصلية مستقلَّة تمام الاستقلال عن الصُّورة الأخرى[1]" .

ويؤيِّده الدكتور / صبحي الصَّالح في ذلك بقوله : " ورأى المحدثين – على جراءته – أسلم اتجاهًا , وأصحُّ نتيجة , من رأى تلك الطائفة من المتقدِّمين الذين ذهبوا إلى إكثار العرب من الإبدال كأنه سُنَّة أو عادة[2] , وكأنَّ النُّطقين المختلفين عندهم متساويان يوضع أحدهما مكان الآخر ؛ وكأن يعتمدون هذا الإبدال إعجابًا به , وتفنُّنًا فيه[3] " .

ولكن حكم الدكتور / إبراهيم أنيس على جميع الكلمات ذات المعنى الواحد بأن إحدى الصُّورتين هي الأصل والأخرى فرع لها أو تطور عنها في غياب المعجم التاريخي للغة العربية

---

(1) السابق الصفحة نفسها .

(2) ويقصد بذلك ابن فارس . ينظر : الصاحبي صـ 333 .

(3) دراسات في فقه اللغة د . صبحي الصالح صـ 213 – دار العلم للملايين – الطبعة الحادية عشرة 1379 هـ – 1960 م .

قد شابه البطلان فأنَّى لمحدث أن يستوعب جميع اللغة ويقرِّر أن هذه أصل وتلك فرع أو تطور عن الأصل[1].

وبعد عرض هذه الاتجاهات الثلاثة حول قضية الإبدال والتعرُّف على آراء العلماء فيها – قدامى ومحدثين – أرى أن اختلاف اللهجات العربية هو العنوان البارز للحكم على تلك القضية " فالحقُّ أحقُّ أن يتبع وهو أن الإبدال ينشأ من اختلاف اللغات كما ذهب إلى ذلك أبو الطيب اللغوي[2] " .

ولكن حتى يتحقَّق قانون الإبدال كان لا بد من وجود علاقة صوتية بين الصَّوتين محور التبادل – المبدل والمبدل منه – مع اتفاق في المعنى بينهما , ولكن إذا انعدمت العلاقة الصَّوتية بينهما أو اختلف المعنى فتلك الكلمات إذًا خارج نطاق حدود قضية الإبدال .

مُسَوِّغات الإبدال

إذا كان القدامى والمحدثون قد اختلفوا في التعليل لنشأة هذه الظاهرة إلا أنهم قد اتفقوا على أن عملية التَّناوب بين الصَّوتين – المُبْدَل والمُبْدَل منه – لا بد أن تتمَّ على أساس من التَّقارب الصَّوتي الذي يجمع بينهما , سواء أكان هذا التقارب عن طريق المخارج أم الصفات .

وهذا ما عناه ابن جنِّي بقوله : " أصل القلب في الحروف إنما هو فيما تقارب منها , وذلك الدَّال والطَّاء والتَّاء , والذَّال والظَّاء والثَّاء , والهاء والهمزة , والميم والنون وغير ذلك مما تدانت مخارجه[3] " .

ويقول في موضع آخر : " فإن فاء افتعل إذا كانت زايًا قلبت التاء دالا , وذلك نحو ازْدَجَرَ ... وأصل هذا : ازتَجر .. لأنَّه افتعل من الزَّجر ... ولكن الزَّاي لما كانت مجهورة , وكانت التاء مهموسة , وكانت الدَّال أخت التَّاء في المخرج , وأخت الزَّاي في الجهر , قرَّبوا بعض الصَّوت من بعض , فأبدلوا التَّاء أشبه الحروف من موضعها بالزَّاي , وهي الدَّال , فقالوا : ازدجر ... ونحو من هذا التَّقريب في الصَّوت قولهم في سَبَقْت : صَبَقت , وفي سُقْت

(1) قضايا ونظرات في فقه اللغة د. إبراهيم أبو سكين صـ 55 .

(2) اللهجات العربية د . إبراهيم نجا صـ 75 .

(3) سر صناعة الإعراب 1 / 197 .

: صُقت .. وذلك أن القاف حرف مستعل , والسِّين غير مستعل , إلا أنها أخت الصَّاد المستعلية , فقربوا السِّين من القاف بأن قلبوها إلى أقرب الحروف إلى القاف من مخرج السِّين , وهو الصَّاد[1] " .

ومبدأ التَّقارب الصَّوتي بين المبدل والمبدل منه هو ما أكَّد عليه المحدثون أيضًا , حيث يقول الدكتور / إبراهيم أنيس : " غير أنَّه في كل حالة يشترط أن نلحظ العلاقة الصَّوتية بين الحرفين المبدل والمبدل منه[2] " .

ويؤكِّد الدكتور / على عبد الواحد وافي على ضرورة الاتِّفاق في النَّوع بين الصَّوتين , ويفسِّر ذلك بقوله : " ونعني بالاتِّفاق في النَّوع : أن يتقارب الصَّوتان في المخرج أو يتحدا في جميع الصِّفات ما عدا الإطباق ، فمن أمثلة التَّقارب في المخرج تناوب الميم والنون في مثل امتقع لونه وانتقع , و اللام والنون في مثل أسود حالك وحانك , وفلان خامل الذكر وخامنه , والراء واللام في مثل هدر الحمام وهدل ... ومن أمثلة الاتِّفاق في الصِّفات ما عدا الإطباق تناوب الصَّاد والسِّين في مثل ساطع وصاطع , والصِّراط , والسِّراط , وسخره في العمل وصخره , وخطيب مسقع ومصقع , وصقر وسقر , والصَّدغ والسَّدغ[3] " .

ومن هنا كما يقول الدكتور / عبد الصبور شاهين : " لا يكون الإبدال إبدالا حقًّا إلا إذا كان بين البدل والمبدل منه علاقة صوتيَّة كقرب المخرج , أو الاشتراك في بعض الصِّفات كالجهر والهمس والشِّدَّة والرَّخاوة[4] " .

ومع كل هذا يصرُّ بعض العلماء على إخراج الصِّفة من دائرة هذا التَّناوب , وذلك على حدِّ قول أحدهم : " أما اختلاف الصِّفة فليس بذي بال ؛ لأن المعول في معرفة نوع الصَّوت ودرجة إيقاعه على العضو الذي خرج منه من بين أعضاء جهاز النُّطق , وليس على الطريقة أو الكيفيَّة التي تمَّ بها انطلاق هذا الصَّوت[5] " .

---

(1) السابق 1 / 171 , 172 .

(2) من أسرار اللغة صـ 75 . وينظر : التطور اللغوي التاريخي د. إبراهيم السامرائي صـ 113 .

(3) فقه اللغة صـ 184 , 185 .

(4) القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث صـ 73 .

(5) دراسات في فقه اللغة د. صبحي الصالح صـ 218 . وهذا هو ما اقتصر عليه أيضًا د . جرجى زيدان حيث يقول :"ويحصل الإبدال غالبًا بين الحروف التي هي من مخرج واحد أو مخارج متقاربة " الفلسفة اللغوية والألفاظ العربية د. جرجى زيدان صـ 60 – دار الهلال – الطبعة الثانية 1904م .

ونظرًا لهذه العلاقة الصَّوتية التي تربط بين الصَّوتين – المبدل والمبدل منه – في صورة الكلمة العربية أبرز علماء العربية المسوِّغات التي تسوِّغ حدوث هذه الظَّاهرة بين تلك الكلمات على طريقة الاشتقاق الأكبر بشيء من التفصيل في عدة نقاط هي :

1- التَّماثل :وهو أن يتحد الحرفان مخرجًا وصفة,مثل اللام والنون[1].

2- التَّجانس : وهو أن يتفق الحرفان مخرجًا ويختلفا صفة : كالدَّال , والطَّاء .

3- التَّقارب[2] : وتتشكَّل هذه العلاقة في عدَّة صور هي :-

أ- أن يتقارب الحرفان مخرجًا ويتحدا صفة : كالحاء والهاء .

ب- أن يتقارب الحرفان مخرجًا وصفة : كاللام والرَّاء .

ج- أن يتقارب الحرفان مخرجًا , ويتباعدا صفة : كالدَّال والسِّين.

د- أن يتقارب الحرفان صفة ويتباعدا مخرجًا: كالشين والسين .

4- التباعد[3] : وتتشكَّل هذه العلاقة في عدَّة صور هي :

أ- أن يتباعد الحرفان مخرجًا ويتحدا صفة , كالنُّون والميم .

ب- أن يتباعد الحرفان مخرجًا وصفة : كالميم والضَّاد[4] .

---

(1) وقد مثَّل الأستاذ / عبد الله أمين والدكتور / صبحي الصالح لهذين النوعين بالباءين , والتَّاءين , والثَّاءين , وقد جانبهما الصَّواب في ذلك , فهل يوجد في العربية باءان , أو تاءان , أو ثاءان حتى يتم التعاقب بينهما ؟ أم أنه يمكن أن يبدل الشيء من نفسه ؟ وما الفائدة التي تعود علينا – على فرض وجوده وحدوثه – ؟ , وكيف نعرف – عندها – البدل من المبدل منه ؟ . وقفات تأملية مع فقه اللغة العربية د . يحيى الجندي صـ 448 – الطبعة الأولى 1423 هـ - 2003م .

(2) يكون الحرفان متقاربين مخرجًا : إذا كان مخرجاهما من عضو واحد , وليس بينهما فاصل كالهمزة من أقصى الحلق , والعين من وسطه , ومتقاربين صفة إذا اتحدا في أكثر الصفات كالنُّون والرَّاء . الاشتقاق . عبد الله أمين صـ 352 , 353 .

(3) يكون الحرفان متباعدين مخرجًا : إذا كان مخرجاهما من عضو واحد , وكان بينهما فاصل كالهمزة من أقصى الحلق , والخاء من أدناه , فالفاصل بينهما في وسط الحلق , أو كانا من عضوين كالعين من وسط الحلق , والجيم من وسط اللسان . السابق صـ 353 .

(4) السابق صـ 352 .

ويعلق الدُّكتور / صبحي الصالح على تلك المسوِّغات بقوله : " ولو تتبعنا مسوِّغات الإبدال في حروف المعجم العربي على ترتيبها لوجدنا علاقة التَّقارب أكثر بين تلك المسوِّغات أما التَّجانس والتَّباعد فقليلان نادران , وإن كانا يتفاوتان بين حرف وآخر[1] " .

[1] دراسات في فقه اللغة صـ 219 , 220 .

المبحث الثاني

أ- مخارج الصَّوامت العربيَّة

ب- صفات الصَّوامت العربيَّة

أ – مخارج الصَّوامت العربيَّة

ميَّز علماء العربية بين نوعين من الأصوات اعتمادًا على عدَّة خصائص يتميَّز بها كل صوت عن غيره , فانحصرت عندهم أصوات العربية في نوعين هما :

أ – الحركات **ب – الأصوات الصَّامتة**

والنوع الثاني منها هو مدار البحث في تلك الدِّراسة , وقد تمَّ تعريفه عند علماء الصوتيات بأنَّه : " هو الصَّوت الذي ينحبس الهواء في أثناء النُّطق به في أية منطقة من مناطق النُّطق انحباسًا كليًّا أو جزئيًّا"[1] .

ومن هذا المنطلق فأصوات العربية الثمانية والعشرون صالحة لأن يطلق عليها أصوات صامتة بدءًا بالهمزة وانتهاء بالياء[2] .

وحتى تحدَّد هويَّة الصَّوت الصَّامت في العربية كان لابد من التعرُّف على موقعه والمنطقة التي تقوم بإبرازه إلى حيِّز الوجود , وعند النَّظر إلى ذلك نجد أنفسنا أمام وجهتي نظر لا يمكن الفصل بينهما بحال من الأحوال وهما :

1– المخارج عند القدامى

رقم المخرج	المخرج	الصَّوت
الأول	أسفل الحلق وأقصاه	*الهمزة والهاء والألف*
الثاني	وسط الحلق	العين والحاء
الثالث	مما فوق ذلك مع أول الفم	الغين والخاء
الرابع	مما فوق ذلك من أقصى اللسان	القاف
الخامس	من أسفل من ذلك وأدنى إلى مقدم الفم	الكاف
السادس	من وسط اللسان , بينه وبين وسط الحنك الأعلى	الجيم والشِّين والياء

(1) أصوات اللغة العربية د. عبد الغفار حامد هلال صـ 104 – الطبعة الثانية 1408هـ – 1988م .

(2) بخلاف الواوإذا سبقت بضم والياء إذا سبقت بكسر فهما من الحركات الطويلة .

السابع	من أول حافة اللسان وما يليها من الأضراس	الضَّاد
الثامن	من حافة اللسان من أدناها إلى منتهى طرف اللسان , من بينها وبين ما يليها من الحنك الأعلى	اللام
التاسع	من طرف اللسان بينه وبين ما فُوَيق الثنايا	النُّون
العاشر	من مخرج النون غير أنه أدخل في ظهر اللسان قليلا , لانحرافه إلى اللام	الرَّاء
الحادي عشر	مما بين طرف اللسان وأصول الثنايا	الطَّاء والدَّال والتَّاء
الثاني عشر	مما بين الثنايا وطرف اللسان	الصَّاد والزَّاي والسِّين
الثالث عشر	مما بين طرف اللسان وأطراف الثنايا	الظَّاء والذَّال والثَّاء
الرابع عشر	من باطن الشفة السفلى وأطراف الثنايا العلى	الفاء
الخامس عشر	مما بين الشفتين	الباء والميم والواو
السادس عشر	الخياشيم	النُّون الخفيَّة , ويقال الخفيفة أي السَّاكنة [1] .

(1) سر صناعة الإعراب 1 / 52 , 53 . وينظر : كتاب سيبويه . تحقيق . عبد السلام محمد هارون 4 / 433 – دار الجيل – بيروت – الطبعة الثالثة 1414هـ – 1994م , والمقتضب للمبرد تحقيق د. محمد عبد الخالق عضيمة 1 / 328 : 330 – المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – لجنة إحياء التراث الإسلامي 1385 هـ .

2- المخارج عند المحدثين

رقم المخرج	المخارج	أصواتها
الأول	شفوية	*الباء والميم والواو* [1]
الثاني	أسنانية شفوية	الفاء
الثالث	أسنانية أو مما بين الأسنان	الثَّاء والذَّال والظَّاء
الرابع	أسنانية – لثوية	التَّاء والدَّال والطَّاء والضَّاد واللام والنُّون
الخامس	لثوية	الرَّاء والزَّاي والسِّين والصَّاد
السادس	لثوية – حنكية	الجيم الفصيحة والشِّين
السابع	وسط الحنك	الياء
الثامن	أقصى الحنك	الخاء والغين والكاف والواو
التاسع	لهوية	القاف
العاشر	حلقية	العين والحاء
الحادي عشر	حنجرية	الهمزة والهاء [2] .

وبإمعان النظر في رأى كل فريق منهم نرى أن الخلاف بينهما ليس خلافًا جوهريًّا , وإنما هو خلاف في تحديد المصطلحات والتَّذوق الشَّخصي لكل منهما ؛ أو الاعتماد على الأجهزة الصَّوتية .

(1) وصف الواو بأنها شفوية ليس خطأ ؛ لأن للشفتين دخلا كبيرًا في نطق هذا الصَّوت . ولكن الوصف الأدق أن يقال : إن الواو من أقصى الحنك , إذ عند النطق بها يقترب اللسان من هذا الجزء من الحنك . علم اللغة العام (القسم الثاني " الأصوات ") د. كمال محمد بشر صـ89 –دار المعارف بمصر 1969 م .

(2) السابق صـ 89 , 90.

ب – صفات الصَّوامت العربيَّة

تعدَّدت الصِّفات الصَّوتية لأصوات الصَّوامت في العربية بناء على عدَّة اتجاهات تمَّ تقسيم هذه الصفات على إثرها , فاشتملت كل صفة منها على مجموعة من الأصوات هاك بيانها :

أولا : بناء على قوة الاعتماد وضعفه

على هذا الأساس عند القدامى تمَّ تقسيم الصَّوامت العربيَّة إلى قسمين :

أ – الصَّوت المجهور : وهو حرف أشبع الاعتماد من موضعه , ومنع النَّفَس أن يجرى معه حتى ينقضي الاعتماد , ويجرى الصَّوت ، والأصوات التي تتصف بذلك هي : الهمزة , والباء , والجيم , والدَّال , والذَّال , والرَّاء , والزَّاي , والضَّاد , والطَّاء , والظَّاء , والعين , والغين , والقاف , واللام , والميم , والنُّون , والواو , والياء .

ب – الصَّوت المهموس : وهو حرف أضعف الاعتماد من موضعه , حتى جرى معه النَّفَس،والأصوات التي تتصف بذلك هي : التَّاء , والثَّاء , والحاء , والخاء , والسِّين , والشِّين , والصَّاد , والفاء , والكاف , والهاء , المجموعة في قولك : " سكت فحثه شخص[1] " .

وأما المحدثون فحركة الأوتار الصَّوتية عندهم كانت هي الضَّابط لهذا التقسيم , فتنوعت من خلالها الصَّوامت في العربيَّة إلى ثلاثة أقسام :-

أ- **الصَّوت المهتز :** هو الصَّوت الذي تتذبذب الأوتار الصَّوتيَّة حال النُّطق به .

ب- **الصَّوت غير المهتز :** هو الصَّوت الذي لا تتذبذب الأوتار الصَّوتية حال النُّطق به.

ج- **ما لا يوصف بالاهتزاز وعدمه**[2] .

وقد اتفقت كلمة المحدثين مع القدامى في هذا التقسيم , وكذلك في الأصوات التي يتصف بها كل قسم , ولم يظهر خلاف بينهما إلا في التعبير بالمصطلحات , وفي بعض الأصوات التي تتصف بتلك الصفات وهي أصوات : القاف والطَّاء والهمزة , حيث عَدَّ

---

(1) ينظر : كتاب سيبويه 4 / 434 , وسر صناعة الإعراب 1 / 69 , والرعاية . مكي بن أبي طالب تحقيق د. أحمد حسن صـ 92 , 93 – دار الكتب العربية 1393 هـ - 1973م .

(2) علم اللغة العام (القسم الثاني " الأصوات ") د . كمال محمد بشر صـ 87 , 88 .

القدامى صوتي القاف والطَّاء من الأصوات المجهورات المقابلة للمهتزَّات , لكن المحدثين رأوا أنهما من غير المهتزَّات المقابلة للمهموسات , وكذلك صوت الهمزة فالقدماء عدُّوها من المجهورات على حين أنها محلُّ خلاف بين المحدثين , فمنهم من تتفق كلمته مع المحدثين باعتبارها من المجهورات , ومنهم من يرى أنها من المهموسات , ومنهم من يرى أنها لا توصف بالاهتزاز أو عدمه(الجهرأوالهمس)[1].

ثانيًا : بناء على حالة ممرِّ الهواء عند موضع النُّطق

قُسِّمت الصَّوامت في العربيَّة عند القدامى اعتمادًا على حالة ممرِّ الهواء عند موضع النُّطق إلى ثلاثة أقسام :

أ – الصَّوت الشَّديد : هو الحرف الذي يمنع الصَّوت أن يجري فيه . والأصوات التي تتصف بذلك هي : الهمزة , والباء , والتَّاء , والجيم , والدَّال , والطَّاء , والقاف , والكاف المجموعة في قولك : " أجدت طبقك " .

ب – الصَّوت الرَّخو : هو الحرف الذي يجري فيه الصَّوت . والأصوات التي تتصف بذلك هي : الثَّاء , والحاء , والخاء , والذَّال , والزَّاي , والسِّين , والشِّين , والصَّاد , والضَّاد , والظَّاء , والغين , والفاء , والهاء .

جـ – الصوت المتوسط : هو الحرف الذي بين الشِّدة والرَّخاوة , أو هو اعتدال الصَّوت عند النطق بالحرف , ويسميها بعضهم (البينيَّة) وذلك لعدم كمال انحباس الصَّوت كانحباسه في حروف الشِّدَّة , وعدم كمال جريانه كما في حروف الرَّخاوة بل حالة متوسطة بين كمال انحباس الصَّوت وكمال جريانه [2] .

والأصوات التي تتصف بذلك هي : الرَّاء والعين واللام والميم والنُّون [3] .

---

(1) وهذه الخلافات ستتعرف عليها بالتفصيل عند الحديث عن تلك الأصوات في الجانب التطبيقي إن كانت من صور الإبدال الخاصَّة بهذا الجانب .

(2) غاية المريد في علم التجويد . عطية قابل نصر صـ 140 , 141 – دار التقوى – الطبعة السابعة 1420هـ –2000م .

(3) ينظر : كتاب سيبويه 4 / 434 , والرعاية صـ 93 , 94 . ومنهم من جعل الأصوات المتوسطة ثمانية بإضافة الألف والواو والياء إليها وجمعها في لفظ " لم يرو عنا " . ينظر : سر صناعة الإعراب 1 / 69 , وشرح المفصل 10 / 129 , وشرح شافية ابن الحاجب للرضي . حقَّقه. محمد نور الحسن وآخرون 3 / 260 – دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان – 1402هـ – 1982م .

وأما المحدثون فعندهم ستة أقسام للصوامت في العربيَّة بناء على حالة ممرِّ الهواء عند موضع النُّطق وهي :-

أ – الصَّوت المغلق (الانفجاري) : وهو الصَّوت الذي يكون فيه الاتصال بين عضوي النطق قويًّا محكمًا لا يتسرَّب معه الهواء .

ب – الصَّوت الاحتكاكي : هو الصَّوت الذي يضيق فيه ممرُّ الهواء , بحيث يستمرُّ الهواء في الخروج دون توقف .

جـ - انفجاري احتكاكي أو (مركب) : هو الصَّوت الذي يستلزم طريقتين من طرق النُّطق , أولاهما الشِّدَّة أو الانفجار , والثانية الرَّخاوة أو الاحتكاك .

د – الجانبي : هو الصَّوت الذي يغلق فيه ممرُّ الهواء غلقًا محكمًا في مكان معين , ويضيق في مكان آخر , ويتمُّ ذلك في الفم مع ترك منفذ لهذا الهواء من جانبي الفم أو من أحدهما .

هـ – الأنفي : هو الصَّوت الذي يتم الغلق فيه والفتح في الأنف .

و – المكرر : هو الصَّوت الذي يتم فيه تكرار الفتح والغلق[1] .

والخلاف بين القدامى والمحدثين في هذا التقسيم ينحصر أيضًا كسابقه في التعبير بالمصطلحات , وفي بعض الأصوات التي تتصف بتلك الصِّفات .

أما الخلاف بينهما في المصطلحات فيبدو من وصف القدماء لبعض الصوامت بالشِّدَّة , على حين يصفها المحدثون بالغلق , وكذا يمكن القول بالنسبة للصَّوامت الموصوفة بالرَّخاوة أو الاحتكاك , والصَّوامت الموصوفة بالتوسط وما يقابلها من الجانبية والأنفية والتكرار .

وأما الخلاف بينهما في الأصوات التي تتصف بهذه الصفات فينحصر في أصوات الجيم والضَّاد والعين , حيث اعتبر القدامى صوت الجيم من الأصوات الشديدة , في حين اعتبره المحدثون صوتًا مركبًا من الانفجار والاحتكاك , وصوت الضاد صوت رخو عند القدامى ,

---

(1) علم اللغة العام (القسم الثاني " الأصوات ") د . كمال محمد بشر صـ 98 , وعلم الصوتيات د. عبد الله ربيع , و د . عبد العزيز علام صـ 235 , 236 – المكتبة التوفيقية . وينظر : مناهج البحث في اللغة . د . تمام حسان صـ 131 – طبعة دار الثقافة – الدار البيضاء – المغرب – 1400هـ - 1979م , وعلم اللغة مقدمة للقارئ العربي د. محمود السعران صـ 152 , 153 .

في حين اعتبره المحدثون صوتًا مغلقًا , وأخيرًا صوت العين فهو عند القدامى من الأصوات المتوسطة بين الشِّدَّة والرَّخاوة , وعند المحدثين على هذا الرأي يُسمى صوتًا احتكاكيًّا وإن كان أقل الأصوات الاحتكاكية احتكاكًا[1] .

هذا , ومن الملاحظ أن للقدامى تصنيفات أخرى للأصوات الصَّامتة بحسب صفاتها , وذلك على النحو التالي :

أ- باعتبار الإطباق والانفتاح .

ب- باعتبار الاستعلاء والاستفال .

ج- باعتبار صفة مشتركة بين القسمين وهي التَّفخيم والتَّرقيق .

وأما موقف المحدثين من دارسي الأصوات العربية من هذا التَّقسيم فهو كما يقول بعض الباحثين : " لم يجاوزوا في كلامهم عن الإطباق والاستعلاء والتَّفخيم ما قاله علماء التجويد , بل إن الجديد عند بعضهم هو ميله إلى التعبير عن مجموع هذه الصِّفات بمصطلح واحد وهو التَّفخيم[2] " .

هذا بالإضافة إلى تقسيم آخر ظهر للصَّوامت العربية وهي أصوات الذلاقة والإصمات.

وهذا هو بيان المقصود من كل قسم مع بيان ما يندرج تحته من أصوات .

1 – **الإطباق** : وهو أن ترفع ظهر لسانك إلى الحنك الأعلى مطبقًا له[3] , والأصوات التي تتصف بذلك هي : الصَّاد والضَّاد والطَّاء والظَّاء .

2 – **الانفتاح** : هو انفتاح قليل بين اللسان والحنك الأعلى بحيث يخرج الرِّيح من بينهما عند النطق بحروفه[4] .

---

(1) وهذه الخلافات سنتعرف عليها بالتفصيل عند الحديث عنها في الجانب التطبيقي لهذه الأصوات إن كانت من صور الإبدال الخاصَّة بهذا الجانب .

(2) الدراسات الصوتية عند علماء التجويد د. غانم قدورى الحمد صـ 294 – مطبعة الخلود – بغداد – الطبعة الأولى 1406هـ – 1986م .

(3) كتاب سيبويه 4 / 436 , وسر صناعة الإعراب 1 / 61 , 62 , والرعاية صـ 98 .

(4) العقد الفريد في فن التجويد . الشيخ على بن أحمد صبرة . حقَّقه د . شعبان محمد إسماعيل صـ 44 – المكتبة الأزهرية للتراث .

والأصوات التي تتصف بذلك هي ما عدا الأصوات المطبقة .

3 – **الاستعلاء:**هو ارتفاع اللسان عند التلفظ بحروفه إلى الحنك الأعلى [1] .

والأصوات التي تتصف بذلك هي : الخاء والغين والقاف والضَّاد والطَّاء والصَّاد والظَّاء .

ويلاحظ على هذه الأصوات أن أربعة منها مع استعلائها إطباق وهي : الصَّاد , والضَّاد , والطَّاء , والظَّاء , وأما الخاء والغين والقاف فلا إطباق فيها مع استعلائها .

4 – **الاستفال** : هو انخفاض اللسان عند التلفظ بحروفه عن الحنك الأعلى[2] . والأصوات التي تتصف بذلك هي ما عدا الأصوات المستعلية .

5 – **التَّفخيم** : هو عبارة عن سمن يدخل على جسم الحرف أي صوته فيمتلئ الفم بصداه[3] , أو هو تعظيم الحرف في النُّطق حتى يمتلئ الفم بصداه[4] .

والأصوات المفخَّمة هي : الخاء , والصَّاد , والضَّاد , والطَّاء , والظَّاء , والغين , والقاف , وهذه الأصوات قد جمعت في قولهم : " خص ضغط قظ " , والبعض من هذه الأصوات يعد أعلى تفخيمًا من بعضها الآخر , فأصوات الصَّاد , والضَّاد , والطَّاء , والظَّاء , وهي الأصوات المطبقة أعلى تفخيمًا من الخاء والغين والقاف .

6 – **التَّرقيق** : هو عبارة عن نحول يدخل على جسم الحرف فلا يمتلئ الفم بصداه[5] أو هو جعل جسم الحرف نحيلا , فلا يمتلئ الفم بصداه[6] .

والأصوات التي تتصف بذلك هي ما عدا الأصوات المفخَّمة , مع ملاحظة أن اللام والرَّاء يعرض لهما في التركيب حالات خاصَّة تكون تارة بالتَّفخيم وتارة أخرى بالتَّرقيق .

7 – **الذلاقة** : وهي خفة اللسان وسرعة النُّطق به لخروجه من ذلق اللسان , أي طرفه أو من طرف إحدى الشفتين أو منهما معًا[7] .

---

(1) السابق صـ 42 .

(2) السابق الصفحة نفسها .

(3) نهاية القول المفيد . محمد مكي نصر صـ 93 – مطبعة الحلبي 1394هـ .

(4) التجويد والأصوات د. إبراهيم نجا صـ 76 – مطبعة السعادة .

(5) السابق الصفحة نفسها .

(6) السابق الصفحة نفسها .

(7) غاية المريد في علم التجويد صـ 143 .

ومما يؤكِّد هذا التَّخفيف " أن مجاورة حرف من هذه الحروف لأي حرف آخر من حروف الهجاء تستسيغها الآذان ولا يتعسر فيها النطق[1] " .

والأصوات التي تتصف بذلك هي : الباء , والرَّاء , والفاء , واللام , والميم , والنُّون .

8 – **الإصمات :** وهو ثقل الحرف وعدم سرعة النطق به لخروجه بعيدًا عن ذلق اللسان والشفة[2] ، وهي الأصوات التي صُمِت عنها , أن تبنى منها كلمة رباعية أو خماسية مُعَرَّاة من حروف الذلاقة[3] .

والأصوات التي تتصف بذلك هي ما عدا أصوات الذلاقة .

كانت هذه هي التصنيفات الخاصَّة بصفات الأصوات , وذلك من الناحية التقابلية , والتي تعد من المشخِّصات الأساسية للتفريق بين الصَّوت وغيره , وهذه الصفات كالتالي :–

1- الجهر والهمس أو (الاهتزاز وعدمه) .

2- الشِّدَّة والرخاوة أو (الغلق والاحتكاك) .

3- التَّوسط أو (الجانبية والأنفية والتكرارية) .

4- الإطباق والانفتاح والاستعلاء والاستفال والتَّفخيم والتَّرقيق أو(التفخيم وعدمه).

5- الذلاقة والإصمات[4] .

وهذه الصِّفات السَّابقة تنقسم إلى صفات قويَّة وضعيفة , فالقويَّة تتمثَّل في الجهر والشِّدَّة والاستعلاء والإطباق , والضَّعيفة تتمثَّل في الهمس والرَّخاوة والاستفال والانفتاح . وهناك صفات لا توصف بقوة ولا ضعف , وهي صفات الذلاقة والإصمات والتَّوسط .

وسوف نستميح القارئ عذرًا إذا ما عبَّرنا عن هذه المصطلحات بتعبيرات القدامى مسايرة لكثير من أعلامنا السابقين متذكِّرين دائمًا أنه لا مشاحة في الاصطلاح إذا ما وضح القصد .

---

(1) موسيقى الشعر . د . إبراهيم أنيس صـ 28 – دار الأنجلو المصرية – الطبعة السادسة 1988م .

(2) غاية المريد في علم التجويد صـ 143 .

(3) سر صناعة الإعراب 1 / 74 , 75 .

(4) هذا ومن الملاحظ أن هناك بعض الصِّفات الإفرادية التي تتمتَّع بها بعض الأصوات الصَّامتة , وسوف يتم التعرُّف عليها داخل الجانب التطبيقي لهذه الدِّراسة .

المبحث الثالث

الإبدال اللغوي بين الصَّوامت في القراءات القرآنيَّة

تعرض هذه الدراسة للجانب التطبيقي لصور الإبدال اللغوي بين الصَّوامت بوجه عام في القراءات القرآنية – صحيحة وشاذة – ، وذلك من خلال الاستعانة بأقوال القدامى والمحدثين وخاصَّة المتخصِّصين في هذا المجال .

(1) **الإبدال بين الهمزة والهاء (إيَّاك , هِيَّاك)**

قال تعالى :﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ الفاتحة (5).

القراءة بالهمزة : الجمهور .

القراءة بالهاء : أبو السِّوار الغنوي[1] .

العلاقة الصوتية : التَّجانس .

الشرح والتحليل

إن صوتي الهمزة والهاء من الأصوات التي جمع بينهما شبه كبير سواء من ناحية المخارج أم الصِّفات , وإن كانت الهمزة من الأصوات التي تعدَّدت فيها الآراء , وتشعَّبت حولها الاتِّجاهات .

فمن ناحية المخرج يرى القدامى أن مخرج الهمزة من أسفل الحلق وأقصاه[2], في حين يرى المحدثون أنها من أصوات الحنجرة ؛ لأن صوت الهمزة يحدث عندما " تسدُّ الفتحة

---

(1) ينظر : مختصر في شواذ القرآن من كتاب البديع لابن خالويه . نشره ج برجشتراسر صـ 9 – طبعة مكتبة المتنبي – القاهرة ؛ وشواذ القراءة واختلاف المصاحف للكرماني صـ 15 – نسخة مصورة من المخطوط رقم 224 قراءات – مكتبة الجامع الأزهر , والمحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية . تحقيق . أحمد صادق الملاح 1 / 75 – القاهرة 1394هـ - 1974م , والجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي) 1 / 193 – دار الغد العربي – الطبعة الأولى 1410هـ - 1990م , والبحر المحيط لأبي حيان الأندلسي 1 / 41 – دار الفكر – 1412هـ - 1992م , وبدون نسبة في المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها لابن جني . تحقيق . على النحدي وآخرين 1 / 40 , 41 , والكشاف للزمخشري 1 / 63 – دار الكتاب العربي , وتفسير القرآن العظيم لابن كثير 1 / 39 – مؤسسة الريان – دار اليقين للنشر والتوزيع – الطبعة الثانية 1417هـ - 1996م , وروح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني للألوسي . حقَّقه . على عبد الباري عطية 1 / 86 – دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان .

(2) ينظر : العين للخليل بن أحمد الفراهيدي . تحقيق . د . مهدي المخزومي , د . إبراهيم السامرائي 1 / 58 – بيروت – لبنان – الطبعة الأولى 1408هـ - 1998م , وكتاب سيبويه 4 / 431 , والمقتضب للمبرد 1 / 328 , وسر صناعة الإعراب 1 / 52 , والرعاية صـ 19 , وشرح المفصل 9 / 107 , والنشر 1 / 199 . وأيَّدهم في ذلك بعض المحدثين . ينظر : فقه اللغة د. على عبد الواحد وافي صـ 167 , ودراسات في فقه اللغة . د . صبحي الصالح صـ 278 .

الموجودة بين الوترين الصوتيين , وذلك بانطباق الوترين انطباقًا تامًّا فلا يسمح للهواء بالنَّفاذ من الحنجرة , يضغط الهواء فيما دون الحنجرة ؛ ثم ينفرج الوتران فينفذ الهواء من بينهما فجأة محدثًا صوتًا انفجاريًّا[1] " .

وعلى هذا الأساس " يمكن قبول رأي القدامى هذا بافتراض واحد , هو أنَّهم ربَّما أطلقوا الحلق على منطقة واسعة تشمل الحنجرة وغيرها , وتكون الحنجرة حينئذ هي المقصودة بـ " أقصى الحلق " , والملاحظ على كل حال أن هؤلاء العلماء لم يشيروا إلى الحنجرة في كلامهم , ولم يعدوها من مخارج الأصوات العربية , وربَّما يرجع ذلك إلى عدم إدراكهم لهذه المنطقة المهمَّة في تكوين الأصوات , فوقعوا فيما وقعوا فيه من خطأ عند وصف بعض الأصوات , ومن أهمها الهمزة[2] " .

ومن هنا ندرك أن اختلاف القدامى والمحدثين في تحديد مخرج الهمزة ليس خلافًا جوهريًّا , وإنَّما هو خلاف في تحديد المصطلحات والتَّذوق الشَّخصي لكل منهما ليس إلا .

وهنا يلتقي صوت الهمزة مع صوت الهاء في هذا التكوين المخرجي ؛ لأنها أيضًا على رأي القدامى من أسفل الحلق وأقصاه[3] , ومن الحنجرة عند المحدثين , فصوت الهاء يحدث " عندما يتخذ الفم الوضع الصالح لنطق صوت صائت (كالفتحة مثلا) , ويمرُّ الهواء خلال الانفراج الواسع الناتج عن تباعد الوترين الصَّوتيين بالحنجرة محدثًا صوتًا احتكاكيًّا , يرفع الحنك اللين ولا يتذبذب الوتران الصوتيان[4] " .

إذًا فالحنجرة هي الموضع الجامع للتَّكوين المخرجي لصوتي الهمزة والهاء بدءًا بالأولى وانتهاء بالثانية .

---

(1) علم اللغة د . محمود السعران صـ 175 . وينظر : الأصوات اللغوية د . إبراهيم أنيس صـ 89 , 90 – دار الأنجلوا المصرية – الطبعة الخامسة 1979م , ومناهج البحث في اللغة د . تمام حسان صـ 125 – طبعة دار الثقافة – الدار البيضاء – المغرب 1400هـ -1979م , ودراسة الصوت اللغوي . د. أحمد مختار عمر صـ 118 – عالم الكتب 1441هـ - 1991م , وعلم اللغة (القسم الثاني " الأصوات ") د . كمال محمد بشر صـ 112 .

(2) علم اللغة العام (القسم الثاني " الأصوات ") د . كمال محمد بشر صـ 114 , 115 بتصرف يسير .

(3) ينظر : كتاب سيبويه 4 / 433 , والمقتضب 1 / 328 , وسر صناعة الإعراب 1/ 52 .

(4) علم اللغة د . محمود السعران صـ 178 , 179 .

ولكن عند حديث علمائنا عن صفة الهمزة وجدنا الآراء تتعدَّد وتتشعَّب على النحو التالي:

أ- الهمزة صوت مهموس كما يرى بعض المحدثين[1] .

ب- الهمزة صوت لا هو بالمجهور ولا بالمهموس كما يرى بعض المحدثين أيضًا[2] .

ج- الهمزة صوت مجهور كما يرى أغلب القدامى وبعض المحدثين[3].

ولكلٍّ وجهة نظر فيما ذهب إليه , فأصحاب الفريق الأول ووصفهم لها بالهمس فقد تم بناء على أساس التَّذبذب في وضع الأوتار الصوتية وعدم التَّذبذب حيث لا ثالث لهما , ويدخل في حالة عدم التَّذبذب حالة " الانحباس في منطقة الحنجرة وهنا يكون السَّاكن النَّاتج من هذا الانحباس همزة , لا يمكن أن تظلَّ الأوتار الصَّوتية على ذبذبتها , ضرورة أن الانحباس في هذه الحالة يتم بانطباق الأوتار الصَّوتية انطباقًا تامًّا , وهو أمر يناقض التَّذبذب , ومن أجل هذا نقول بأن الهمزة مهموسة لأن الهمس يعني عدم التَّذبذب[4]" .

ولكن يبدو أن أصحاب هذا الفريق " لاحظوا المرحلة الثَّانية من نطق الهمزة وهي المرحلة التي تصاحب الانفجار , ففي هذه الحالة تكون الأوتار في وضع الهمس .

ولكن هذا السلوك منهم غير دقيق بالنسبة لطبيعة الهمزة , إذ الهمزة العربيَّة لا يتم نطقها بهذه المرحلة الثانية وحدها[5] " .

وأما أصحاب الفريق الثاني ووصفهم للهمزة بعدم الجهر والهمس فقد تمَّ بناء على أساس أنها " تتكون وتتمُّ بمرحلتين :

---

(1) ينظر : أصوات اللغة د.عبد الرحمن أيوب صـ 183 – مطبعة الكيلاني – الطبعة الثانية 1968م , ومناهج البحث في اللغة د . تمام حسان صـ 125 , والعربية الفصحى . هنري فليش . تحقيق. د . عبد الصبور شاهين صـ 53 – مكتبة الشباب – الطبعة الثانية 1997م , ومشكلة الهمزة العربية د. رمضان عبد التواب صـ24 – مكتبة الخانجي – الطبعة الأولى 1417هـ - 1996م .

(2) ينظر : علم اللغة د. محمود السعران صـ 171 , والأصوات اللغوية د. إبراهيم أنيس صـ91 , وعلم اللغة العام (القسم الثاني " الأصوات ") د . كمال محمد بشر صـ 112 .

(3) ينظر : الكتاب 4 / 431 , وسر صناعة الإعراب 1 / 78 , والرعاية صـ 119 , وشرح المفصل10 / 129 , وفقه اللغة د . على عبد الواحد وافي صـ 167 , ودراسات في فقه اللغة د . صبحي الصالح صـ 281 .

(4) أصوات اللغة د. عبد الرحمن أيوب صـ 183 .

(5) علم اللغة العام (القسم الثاني " الأصوات ") د. كمال محمد بشر صـ 112 .

المرحلة الأولى: مرحلة انطباق الوترين, وفيها ينضغط الهواء من خلفهما فينقطع النفس.

والمرحلة الثانية : مرحلة خروج الهواء المضغوط فجأة محدثًا انفجارًا مسموعًا , وهاتان المرحلتان متكاملتان ولا يمكن الفصل بينهما أو النَّظر إلى إحداهما دون الأخرى .

ولنا أن نقول – على عكس ما يفترضون – إن المرحلة الأولى وهي مرحلة قطع النَّفس أهم في تكوين الهمزة من المرحلة الثَّانية , ومن ثم كانت تسميتها همزة قطع , وفي هذه المرحلة تكون الأوتار في وضع غير الجهر والهمس معًا[1] " .

ومما يؤكِّد هذا الرأي أن للحنجرة ثـلاث وظـائف : " الاحتباس " , وذلك في الهمزة وحدها و " الانفتاح دون ذبذبة " وذلك في المهموسات , و " الانفتاح مع الذَّبذبة " وذلك في المجهورات , وبذلك تكون الهمزة صوتًا لا هو بالمجهور ولا بالمهموس ؛ لأن وضع الحنجرة لحظة النُّطق بها مغاير لوضعها حالة الجهر أو الهمس[2] .

وأما أصحاب الفريق الثالث ووصفهم للهمزة بالجهر , فدليلهم أن " زمير الجهر يظهر في نطق الهمزة شديدة عند انفجار هوائها , وإن كـان لا يستمر , أما همزة بَيْن بَيْن والمبدلـة حرف مدٍّ فجهرهـا واضح[3] " .

وهذا الرأي الأخير هو ما نراه أقرب إلى الصواب ؛ لأن الجهر واضح تمامًا فيها مثل غيرها من أصوات الجهر الأخرى .

إذًا فصوت الهمزة وإن اختلف مع صوت الهاء من ناحية أن صوت الهمزة يتصف بالجهر والشِّدَّة فهي أشد الأصوات الشَّديدة , بخلاف صوت الهاء فيتصف بالهمس والرَّخاوة , إلا أنهما قد اشتركا في كثير من الصِّفات الصَّوتيَّة وهي : الانفتاح والاستفال والإصمات .

فنظرًا للالتقاء المخرجي بينهما إضافة إلى الاشتراك في كثير من الصفات الصوتية جاز وقوع الإبدال بينهما .

وأما عن القراءات القرآنية وصور الإبدال فيها بين هذين الصوتين فلم تتحقَّق إلا من خلال لفظة "إيَّاك" – بالهمز – على قراءة الجمهور , بخلاف قراءة البعض "هِيَّاك" – بالهاء –.

---

(1) السابق الصفحة نفسها .

(2) القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث صـ 24 .

(3) أصوات اللغة العربية د . محمد حسن جبل صـ 133 .

والأصل في هذه الكلمة الهمزة , وأما الهاء فمبدلة منها , حيث يقول عنها ابن جني : " والهاء بدل من الهمزة , كقولهم في أرقت : هرقت[1] , وأردت : هردت , وأرحت الدابة : هرحت[2] , وأنرت الثوب : هنرت[3] . قال :

فهياك والأمْرَ الذي إن توسَّعَتْ   موارده ضاقت عليك مصادره[4] " .

ويبدو أن النطق بالهاء يمثِّل لهجة من اللهجات العربية , حيث يقول الأخفش : " ومن العرب من يقول : " هِيَّاك " بالهاء , يجعل الألف من " إيَّاكَ " هاءً , فيقول : " هيَّاك نعبد " كما تقول : " إيهِ وَهِيهِ " , وكما تقول : " هَرَقْتُ وأَرَقْتُ[5] " .

وقد لجأت بعض القبائل العربية إلى هذا الإبدال تيسيرًا وخفَّة في عملية النُّطق ؛ نظرًا لأن الهمزة تُعَدُّ من أصعب الأصوات نطقًا , وعملية تحقيقها تحتاج إلى مزيد من الجهد , وذلك " لأنه بعُد مخرجها , ولأنها نبرة في الصدر تخرج باجتهاد , وهي أبعد الحروف مخرجًا , فثقل عليهم ذلك , لأنه كالتَّهوع[6] " .

ولذلك ذكر في لسان العرب : " قال الخليل : الهاء صوت مهتوت في أقصى الحلق يصير همزة , فإذا رُفِّة عن الهمز , كان نَفَسًا يُحَوَّل إلى مخرج الهاء , فلذلك استخفَّت العرب إدخال الهاء على الألف المقطوعة , نحو " أراق وهراق " وأيهات وهيهات . وأشباه ذلك كثير[7]" .

---

(1) هراق الماء يُهَرِيقه – بفتح الهاء – هِرَاقة : أي صَبَّه . وأصله أَرَاق يُرِيق إراقة . تاج اللغة وصحاح العربية للجوهري . تحقيق . أحمد عبد الغفور عطار (هـ ر ق) 4 / 1569 – دار العلم للملايين – الطبعة الثالثة 1404هـ - 1984م . وينظر : لسان العرب 6 / 4654 .

(2) راحت الإبل . وأَرَحْتُها أنا : إذا رَدَدْتَها إلى المُرَاح . الصحاح (روح) 1 / 370 . وينظر: لسان العرب 3 / 1765.

(3) النِيرُ : عَلَم الثوب , ولُحمَتُهُ أيضًا ... تقول : نِرْت الثوبَ أنِيرُهُ نَيْرًا , وكذلك أنَرْت الثوب وهَنَرْته , مثل أرَاق وهَراق . (ن ي ر) 2 / 840 , 841 . وينظر: لسان العرب 6 / 4592 .

(4) المحتسب 1 / 39 ، 40 . وينظر : الكشاف 1 / 62 , والجامع لأحكام القرآن 1 / 193 , وشرح الرضى على شافية ابن الحاجب 1 / 223 , ولسان العرب (أ ي ا) 1 / 186 , وتفسير القرآن العظيم 1 / 25 . وقد نصَّت كثير من كتب اللغة على صورة هذا الإبدال . ينظر : الإبدال لابن السكيت صـ 88 , 89 , والإبدال لأبي الطيب اللغوي 2 / 568 : 571 , وسر صناعة الإعراب 1 / 113 , 114 , والمزهر 1 / 462 .

(5) معاني القرآن للأخفش . حقَّقه د . فائز فارس 1 /16 – الكويت – الطبعة الثانية 1401هـ - 1981 م .

(6) كتاب سيبويه 3 / 548 . وينظر : شرح المفصل 9 / 107 , وشرح الرضى على شافية ابن الحاجب 3 / 31 .

(7) لسان العرب (هـ ت ت) 6 / 4610 .

(2) الإبدال بين الحاء والعين

(أ) (حتى , عتى)

قال تعالى :﴿ ... لَيَسۡجُنُنَّهُۥ حَتَّىٰ ﴾ حِينٍيوسف (35) .

القراءة بالحاء : الجمهور .

القراءة بالعين : عبد الله بن مسعود[1] .

العلاقة الصوتية : التجانس .

(ب) (طلح , طلع)

قال تعالى :﴿ وَطَلۡحٖ مَّنضُودٖ ﴾ الواقعة (29).

القراءة بالحاء : الجمهور .

القراءة بالعين : عليٌّ بن أبي طالب وجعفر بن محمد وعبد الله بن مسعود[2] .

(جـ) (نعم , نحم)

قال تعالى:﴿ ... فَهَلۡ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمۡ حَقّٗاۖ قَالُواْ نَعَمۡۚ ﴾ الأعراف (44).

القراءة بالعين : الجمهور .

القراءة بالحاء : عبد الله بن مسعود[3] .

(د) (بعثر , بحثر)

قال تعالى :﴿ ۞ أَفَلَا يَعۡلَمُ إِذَا بُعۡثِرَ مَا فِي ٱلۡقُبُورِ ﴾ العاديات (9) .

---

(1) ينظر : مختصر في شواذ القرآن صـ 68 , والمحتسب 1 / 343 , والكشاف 2 / 468 , والبحر المحيط 6 / 274 , والدر المصون في علوم الكتاب المبين للسمين الحلبي . تحقيق . على محمد معوض وآخرين 4 / 182 – دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان – الطبعة الأولى 1414هـ - 1994م .

(2) ينظر : مختصر في شواذ القرآن صـ 151 , والمحرر الوجيز 15 / 368 , والكشاف 4 / 461 , والجامع لأحكام القرآن 9 / 6609 , والبحر المحيط 10 / 81 .

(3) ينظر : الجنى الداني في حروف المعاني للمرادي . تحقيق د . فخر الدين قباوة , ومحمد نديم فاضل صـ 506 – دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان – الطبعة الأولى 1403هـ - 1983م , ومغنى اللبيب لابن هشام 2 / 25 – المطبعة التجارية 1356هـ , وهمع الهوامع في شرح جمع الجوامع للسيوطي 2 / 76 , مطبعة السعادة – الطبعة الأولى 1327هـ .

القراءة بالعين : الجمهور .

القراءة بالحاء : عبد الله بن مسعود[1] .

الشرح والتحليل

بعد عرض هذه القراءات القرآنيَّة إجمالا يجد القارئ نفسه أمام أربع قراءات تحقَّقت في كل منها صورة الإبدال بين صوتي الحاء والعين , في المثال الأول والثاني منها الجمهور على القراءة بالحاء , بخلاف الصَّحابي الجليل عبد الله بن مسعود فعلى القراءة بالعين موافقًا بذلك لسانه الهذلي , وعلى النقيض من ذلك في المثال الثالث والرابع فالجمهور على القراءة بالعين , بخلاف عبد الله بن مسعود فعلى القراءة بالحاء مخالفًا بذلك لهجة قبيلته .

وليس في هذا الأمر مجال للشكِّ أو الاختلاف ؛ لأن القارئ لكتاب الله – عزَّ وجلَّ – كان لا يقرأ وفقًا للشَّائع في بيئته كما زعم بعض الباحثين[2] , ولكنه كان يقرأ وفقًا للرِّواية , فإذ وافقت قراءته الشائع في بيئته فبها ونعمت , وإن لم توافق تمسك بالرِّواية ؛ لأنها تمثِّل الأصل في القراءة .

والعلاقة الصَّوتية تبدو جليَّة بين صوتي الحاء والعين نظرًا للالتقاء الذي يجمع بينهما , سواء من ناحية المخارج أم الصِّفات .

فمن ناحية المخارج فقد قرَّر القدماء أن صوتي الحاء والعين من وسط الحلق[3] , فهما من حيِّز واحد , وهو عين ما قرَّره المحدثون .

فعند النطق بصوت الحاء يصعد الهواء من الرئتين مارًّا بالقصبة الهوائية فالحنجرة فتنبسط فتحة المزمار ويتسع الممرُّ الصَّوتي , ويبتعد الوتران الصوتيان عن بعضهما فلا يهتزان فأقصى الحلق حتى إذا وصل إلى وسط الحلق ضاق الممرُّ الصَّوتيُّ وتسرب الهواء تسربًا ضعيفًا مكونًا صوت الحاء .

---

(1) ينظر : معاني القرآن للفراء . تحقيق . أحمد يوسف نجاتي , ومحمد على النجار 3 / 286 –طبعة الدار المصرية للتأليف والترجمة , والجامع لأحكام القرآن 10 / 7504 , والبحر المحيط 10 / 530 . وبدون نسبه في الكشاف 4 / 788 .

(2) ينظر : العربية . يوهان فك . ترجمة د . رمضان عبد التواب صـ 86 – مكتبة الخانجي بمصر 1400هـ – 1980 م , ومن لغات العرب لغة هذيل د . عبد الجواد الطيب صـ 110 , د.ت .

(3) ينظر : الكتاب 4 / 433 , وسر صناعة الإعراب 1 / 52 .

وعند النطق بصوت العين يصعد الهواء من الرئتين مارًّا بالقصبة الهوائية فالحنجرة فتنقبض فتحة المزمار ويضيق مجرى الهواء ويقترب الوتران الصوتيان من بعضهما فيهتزان فأقصى الحلق حتى إذا وصل إلى وسط الحلق ضاق الممرُّ الصَّوتيُّ وتسرب الهواء تسربًا ضعيفًا مكونًا صوت العين [1] .

إذًا فوجه الشبه ظاهر تمامًا بين صوتي الحاء والعين من ناحية المخرج فكلاهما من وسط الحلق .

وأما وجه الاختلاف بينهما فيبدو من النَّاحية الوصفيَّة , حيث إن صوت الحاء يتصف بالهمس والرخاوة بخلاف صوت العين فيتصف بالجهر والتَّوسط[2] , ولكن مع ذلك فوجه الشبه قائم بينهما من جهة الاشتراك في كثير من الصِّفات الصَّوتية وهي : الاستفال والانفتاح والتَّرقيق والإصمات .

وكما يقول ابن جني : " ولولا بُحَّة في الحاء لكانت عينًا [3] " .

وربما كان هذا الشبه الواضح تمامًا بين هذين الصوتين العامل الرَّئيس في جواز وقوع الإبدال بينهما .

وإبدال الحاء عينًا ظاهرة لهجية عُرِفت عند العرب قديمًا بظاهرة (الفحفحة) اقتصر بعض العلماء في تفسيرها على لفظة (حتَّى) فقط[4] محتجِّين ببعض الأدلة منها :

أ) يقول أبو عبيدة : " قوم يحوِّلون حاء حتَّى , فيجعلونها عينًا , كقولك : قم عتَّى آتيك[5]".

---

[1] علم الصوتيات وتجويد آيات الله البينات د . إبراهيم محمد أبو سكين صـ 120 , 121 – الطبعة الأولى 1421 هـ - 2000 م . وينظر : الأصوات اللغوية د . إبراهيم أنيس صـ 88 , وعلم اللغة د . محمود السعران صـ 178 , وعلم اللغة العام (القسم الثاني " الأصوات ") د . كمال محمد بشر صـ 303 , 304 .

[2] ينظر : الكتاب 4 / 434 , وسر صناعة الإعراب 1 / 241 , والنشر في القراءات العشر لابن الجزري 1 / 202 , 203 – دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان , والرعاية صـ 136 , 138 , وعلم الأصوات. تأليف . برتيل مالمبرج . تعريب د . عبد الصبور شاهين صـ 126 – مكتبة الشباب 1984م .

[3] سر صناعة الإعراب 1 / 246.

[4] ينظر : اللهجات العربية د . إبراهيم نجا صـ 82 , ولغة هذيل صـ 110 .

[5] الإبدال لابن السكيت صـ 23 .

ب) يقول أبو الطَّيب اللغوي : " ويقال : اصبر حَتَّى آتيك , وعتَّى آتيك[1] " .

ج) قال أبو زيد : " سمعت العرب تقول : جلست عنده عتَّى الليل , يريدون : حتَّى الليل , فيقلبون الحاء عينًا [2] " .

د) ذكر أبو حيَّان أن : " حتَّى حرف معناه الكثير فيه الغاية وتكون للتَّعليل , وإبدال حائها عينًا لغة هذيل[3]" .

ولكن هذه الأدلة لا تنهض أن تكون دليلا واضحًا على أنَّ هذه الظاهرة خاصَّة بلفظة (حتَّى) فقط , فالواضح أنها ظاهرة عامَّة , حيث يقول السيوطي عند حديثه عن النوع الحادي عشر وهو معرفة الرديء المذموم من اللغات : " ومن ذلك : الفَحفَحة في لغة هذيل , يجعلون الحاء عَيْنًا [4] " .

وقد وردت بعض النُّصوص التي روتها كتب اللغة تنصُّ على صورة الإبدال بينهما في غير لفظة (حتَّى) , حيث يقول ابن السِّكيت : " يقال ضَبَحت الإبلُ وضَبَعت سواء[5] . ويقال إنه لَعَفَضاج وحَفضْاج : إذا انْفَتَقَ وكَثُر لحَمُهُ .. ويقال : بَحْثَروا متاعَهُم وبْعثَروه : أي فَرَّقُوه . يقال للمرأة : إذا كانت تَبْذُؤ وتجئ بالكلام القبيح والفُحْش : هي تُحَنْظى , وتُعَنْظى ... , وقد عَنْظى الرجل وحَنْظى بمعنى ... ويقال : نزل بِحرَاه وعَراه : أي قريبًا منه[6] " .

وقد نسبت تلك الظاهرة اللهجية لأبناء قبيلة هذيل[7] , أو هذيل وثقيف كما ذكر بعض العلماء , حيث يقول ابن منظور : " وعَتَّى بمعنى حَتَّى : هُذَلِيَّة وثقفيَّة ... كلُّ العرب يقولون حتَّى إلا هذيلا وثَقِيفًا فإنهم يقولون عَتَّى[8] " .

---

(1) الإبدال لأبي الطيب اللغوي 1/ 295 .

(2) لسان العرب (ح ت ا) 1 / 773 .

(3) البحر المحيط 1 / 330 عند قوله تعالى : ﴿ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهۡرَةً ... ﴾ سورة البقرة من الآية (55) .

(4) المزهر 1 / 222 .

(5) قال أبو عبيدة : ضَبَحَت الخيل وضَبَعت : إذا عَدَتْ , وهو السَّيْر . لسان العرب (ض ب ح) 4 / 2547 .

(6) الإبدال صـ 86 ، 87 . وينظر : الإبدال لأبي الطيب اللغوي 1 / 246 , والمزهر 1/ 466 .

(7) ينظر : الكشاف 2 / 319 , وتسهيل الفوائد وتكميل المقاصد لابن مالك . حقَّقه . محمد كامل بركات صـ 146 – دار الكتاب العربي بالقاهرة – 1388هـ – 1968م, والمزهر 1 / 222 .

(8) لسان العرب 5 / 2804 . وينظر : الصحاح (ع ت ا) 6 / 2418 .

ولاغضاضة في النِّسبة إليهما معًا , لأن : " هُذَيلا وثقيفًا متجاوران في الموطن والمنازل ... فليس ببعيد أن يكون ذلك لغة لهما معًا , أو على الأقل لثقيف مع جيرانها من البُطون الهذلية المصاقبة لها , ولا يغض من ذلك شيء سوى أن ثقيفًا قبيلة حضرية مقرُّها الطَّائف , أما هذيل فقبيلة بدويَّة – أو فيها بداوة – فهذه الظاهرة ربَّما كانت أشبه بها من سواها ... ولعل السِّرَّ في إبدال هذيل , أو بعض بطونها للحاء عينًا هو أن العين صوت مجهور , والحاء صوت مهموس , والمجهور قد يناسب بيئة فيها بداوة كهذيل أكثرها مما يلائمها الصَّوت المهموس , ثم إن في الحاء رخاوة , وفي العين شيء من الشِّدَّة إذ هي ليست بالرَّخوة ولا بالشَّديدة , وإنما هي شيء بين الأمرين , أو كما يقول القدماء متوسطة بين الشِّدَّة والرَّخاوة ؛ ولهذا أمكن أن تحلَّ محلَّ الحاء لاتحاد مخرجيهما تقريبًا, مع ملاءمتها لقبيلة مثل هذيل[1] " .

وإن ذهب بعض الباحثين إلى أنَّ قبيلة هذيل أقرب ما تكون إلى الطَّبيعة الحضريَّة لشدَّة الاتصال بينها وبين البيئة الحجازيَّة , فكيف تميل إلى قلب صوت مهموس وهو الحاء إلى نظيره المجهور وهو العين , وهو خلاف ما تشهد به الطَّبيعة الحضريَّة فينفي نسبة هذه الظاهرة لها , ولكن الواقع أن قبيلة هذيل كانت : " حلقة وسطي ... بين الحضريين من الحجازيين , وبين الموغلين في البداوة من غيرهم , فهي وإن كانت تجاور الحضر في الحجاز , وتتأثَّر بهم وقد تؤثِّر فيهم , فإنها من جهة أخرى تجاور غيرهم من قبائل وسط الجزيرة ؛ لهذا فهي أيضًا تؤثر فيهم وتتأثَّر بهم كما يقضي بذلك الناموس الاجتماعي ؛ فلا تستبعد بعد هذا أن نجد هذيلا تستبدل في كلامها حرفًا مجهورًا بآخر مهموس وهما متفقان في مخرجهما اتفاقًا يجعل بينهما من التَّقارب في النُّطق ما يؤكِّد هذا الاحتمال[2] " .

فالعرب وإن كانوا يمثِّلون قبائل عدَّة إلا أنَّهم يجرون مجرى الجماعة في دار واحدة كما يقول ابن جنِّي : " لأن العرب وإن كانوا كثيرًا منتشرين , وخَلْقًا عظيمًا في أرض الله تعالى غير متحجِّرين , ولا متضاغطين , فإنَّهم بتجاورهم وتلاقيهم وتزاورهم يجرون مجرى الجماعة في دار واحدة , فبعضهم يلاحظ صاحبه ويراعي أمر لغته , كما يراعي ذلك من مُهمِّ أمره فهذا هذا[3] " .

---

(1) لغة هذيل صـ 110 , 111 .
(2) السابق صـ 113 .
(3) الخصائص 2 / 17 , 18 .

فاللهجات العربية لا تعترف بالحدود الفاصلة بينها وبين شقيقاتها من اللهجات الأخرى : " ولا مانع من تأثُّر بعض قبائل المدن بما انتشر عند إخوانهم العرب في البوادي فهم على صلة بهم يلاقونهم ويتعاملون معهم[1] " .

" وعلى أية حال فإن اللغة لا تعرف الاطِّراد الدَّائم الذي لا يتخلَّف[2] " .

وعلى النقيض من ذلك فقد لجأت قبيلة هذيل إلى عكس تلك القضية السَّابقة فأبدلت العين المجهورة حاء مهموسة , وذلك كما في قراءة عبد الله بن مسعود : (بحثرت) – بالحاء – في قوله تعالى :﴿ وَإِذَا ٱلْقُبُورُ بُعْثِرَتْ ﴾الانفطار (4) .

وقد يكون السَّبب في ذلك أن العين قد وليها حرف مهموس وهو الثَّاء , فنظرًا للتَّجاور بين الحرفين , وتيسير النطق بهما في شيء من التَّقارب والانسجام الصَّوتيِّ [3] .

ولكن إن صحَّ هذا التَّعليل فقد قرأ عبد الله بن مسعود أيضًا (نعم) – بالحاء – في قوله تعالى :﴿ فَهَلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُواْ نَعَمْ ﴾الأعراف (44) , وليس بعدها حرفًا مهموسًا مما يؤكِّد أن ظاهرة الفَحفَحة لم تكن عامَّة في كل حاء عند قبيلة هذيل , وأن القراءة سنَّة متَّبعة الأصل فيها الرِّواية وليست خصائص البيئة .

على أنَّ هذه الظَّاهرة -إذا صحَّت- كانت كما يلاحظ بعض الباحثين [4] , أولى بأن توسم بالفَحفَحة من الظَّاهرة الأولى , أي أحقُّ بهذا الاسم من قلب الحاء عينًا في بعض الألفاظ التي سبقت الإشارة إليها [5] .

وقد تحقَّقت قضية الإبدال بين صوتي الحاء والعين في أربع قراءات قرآنية لم يتغيَّر فيها المعنى مع تغيُّر صورة الحرف , بل ظلَّ المعنى واحدًا في كل ,وتوضيح ذلك على النحو التالي :

(أ) عن قراءة " عتَّى " " يقول ابن منظور : وعَتَّى بمعنى حَتَّى[6] ".

ويعلِّق ابن جني على صورة هذا الإبدال بقوله : " العرب تُبْدل أحد هذين الحرفين من صاحبه لتقاربهما في المخرج , كقولهم : بُحْثِر ما في القبور , أي بُعْثِر ، وضَبعَت الخيل : أي

---

(1) اللهجات العربية نشأة وتطورًا د . عبد الغفار حامد هلال صـ 294 .

(2) اللهجات العربية في القراءات القرآنية د . عبده الراجحي صـ 117 – دار المعرفة الجامعية 1996 م .

(3) لغة هذيل صـ 113 .

(4) في اللهجات العربية د . إبراهيم أنيس صـ 108 , 109 .

(5) لغة هذيل صـ 113 .

(6) لسان العرب (ع ت ا) 4 / 2804 .

ضبحت , وهو يُخْنطِي ويُعنظِي : إذا جاء بالكلام الفاحش , فعلى هذا يكون عَتَّى وحَتَّى , لكن الأخذ بالأكثر استعمالا . وهذا الأمر جائز وغير خطأ[1] " .

وأما ما روى عن عمر – رضي الله عنه – أنه سمع رجلا يقرأ : " عَتَّى حين " فقال : مَن أقرأك ؟ قال : ابن مسعود , فكتب إليه : إن الله – عزَّ وجلَّ – أنزل هذا القرآن فجعله عربيًّا , وأنزله بلغة قريش , فأقرئ الناس بلغة قريش , ولا تقرئهم بلغة هذيل , والسلام[2] .

والإجابة عن هذا النهي من عمر – رضي الله عنه – تدلُّ على أنَّه أراد أن ينهى ابن مسعود من أن يدخل في متن القرآن مثل هذه الخصائص من لسانه الهذلي[3] .

ولذلك قال ابن حجر : " فلما جمع عثمان الناس على حرف واحد رأى أن الحرف الذي نزل القرآن أولا بلسانه أولى الأحرف فحمل الناس عليه , لكونه لسان النبي (ﷺ) ولما له من الأوليَّة المذكورة , وعليه يحمل كلام عمر لابن مسعود[4] " .

(ب) الطلح والطلع في قوله تعالى : (وطلع منضود) لغتان لمعنى واحد[5] , والطلح كما قال عنه المفسِّرون : هو شجر عظام يكون بأرض الحجاز من شجر العضاه واحدته طلحة , وهو شجر كثير الشوك , وقيل هو الموز[6] .

وعندما قرأ على بن أبي طالب وجعفر بن محمد وغيره : طلع منضود , قيل لعلي : إنما هو " طلح " فقال : ما للطلح وللجنَّة. فقيل له : أنصلحها في المصحف , فقال : إن المصحف اليوم لا يهاج ولا يغيَّر[7] .

---

(1) المحتسب 1 / 343 .

(2) السابق الجزء نفسه والصفحة . وينظر : الكشاف 2/468 , ولسان العرب 4/2804 , والبحر المحيط 274/6 .

(3) العربية . يوهان فك صـ 86 بتصرف يسير .

(4) فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني 8 / 226 – طبعة دار الحديث – القاهرة – الطبعة الأولى 1419هـ – 1998م .

(5) لسان العرب (ط ل ح) 4 / 2687 .

(6) تفسير القرآن العظيم 4 / 368 . وينظر : المحرر الوجيز 15 / 368 , والكشاف 4 / 461 .

(7) المحرر الوجيز 1 /368 . وينظر : مختصر في شواذ القرآن صـ 151 , والكشاف 4 / 461 , والجامع لأحكام القرآن 9 / 6609 , والبحر المحيط 10 / 81 .

(جـ) بعثر وبحثر كما ذكر أهل اللغة لغتين لمعنى واحد نُسب نطق العين منهما لأعراب بني أسد[1] , حيث يقول الفراء : " بَحْثَر الرَّجل متاعه وبعثره : إذا فَرَّقه وقَلَبَ بعضه على بعض ... ويقال : بَعْثَرتُ الشيء وبَحْثَرته: إذا استخرجته وكشفته[2] " .

والمعنى في الآية كما يقول الفراء : " (بعثرت) : خَرَجَ ما في بطنها من الذَّهب والفضَّة , وخروج الموتى بعد ذلك , قال : وهو من أشراط السَّاعة أن تُخْرِجَ الأرض أفلاذ كَبِدِها[3] " .

(د) نعم ومعناها : العِدَة والتَّصديق , وهي حرف جواب لما قبلها أبدًا , إلا أنَّها إن كان ما قبلها طلبًا فهي عِدة لا غير , وإن كان ما قبلها خبرًا فهي تصديق لا غير ، وهي في الجواب كقولك بلى , إلا أن نعم في جواب الواجب , وهي موقوفة الآخر لأنها حرف جاء لمعنى[4] .

وعن معنى هذا الحرف في الآية يقول الأزهري : إنما يجاب به الاستفهام الذي لا جحد فيه[5] .

وعن التَّبادل بين صوتي العين والحاء في هذه اللفظة يقول أبو حيان : " لأن الحاء تلي العين في المخرج وهي أخفُّ من العين ؛ لأنها أقرب إلى حروف الفم[6] " .

(3) الإبدال بين الغين والعين

(أ) (شغفها , شعفها)

قال تعالى : ﴿ ... قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا ... ﴾ يوسف (30) .

القراءة بالغين : الجمهور .

---

(1) ينظر : معاني القرآن للفراء 3 / 286 , والجامع لأحكام القرآن 10 / 7504 , ولسان العرب (ب ع ث ر) 1 / 308 .

(2) الصحاح (ب ح ث ر) 2 / 586 . وينظر : السابق (ب ع ث ر) 2 / 593 , ولسان العرب (ب ح ث ر) 1 / 215 , (ب ع ث ر) 1 / 308 .

(3) لسان العرب (ب ع ث ر) 1 / 308 . وينظر : الصحاح (ب ع ث ر) 2 / 594 .

(4) رصف المباني في شرح حروف المعاني للمالقى . تحقيق . أحمد محمد الخراط صـ 364 – مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق 1394هـ . وينظر : الجنى الداني صـ 506 , ولسان العرب (ن ع م) 6/4484 , 4485 , وموسوعة الحروف في اللغة العربية د . إيميل بديع يعقوب صـ 484 – دار الجيل – بيروت – الطبعة الأولى 1408هـ - 1988م .

(5) لسان العرب 6 /4485 .

(6) همع الهوامع 2 / 76 .

القراءة بالعين : عليٌّ بن أبي طالب والحسن بن على وأبو رجاء ويحيى بن يَعْمَر وقتادة وثابت البَنانى وعوف الأعرابي وابن أبي مريم والأعرج ومجاهد وحُميد والزهرى بخلاف وابن مُحَيْصن ومحمد بن السَّمَيْفع وعليٌّ بن حسين ومحمد بن على وجعفر بن محمد[1] .

العلاقة الصوتية : التَّقارب .

(ب) (يغنيه , يعنيه)

قال تعالى :﴿ لِكُلِّ ٱمۡرِيٍٕ مِّنۡهُمۡ يَوۡمَئِذٖ شَأۡنٞ يُغۡنِيهِ ﴾عبس (37) .

القراءة بالغين : الجمهور .

القراءة بالعين : الزُّهرى وابن مُحَيْصن وحميد وابن أبي عبلة وابن السميفع[2] .

الشرح والتحليل

تبدو العلاقة الصَّوتيَّة جليَّة في تحقيق صورة الإبدال في العربيَّة بين صوتي الغين والعين , وقد تحقَّقت تلك العلاقة أولا من النَّاحية المخرجيَّة , حيث يبدو الشَّبه واضحًا بينهما تمامًا من هذه النَّاحية , فصوت العين كما سبق من أصوات وسط الحلق , في حين نجد أن مخرج الغين مما فوق ذلك مع أول الفم[3] .

فعند النطق بصوت الغين يندفع الهواء من الرئتين مارًّا بالحنجرة فيحرك الوترين الصَّوتيين , ثم يتخذ مجراه في الحلق حتى يصل إلى أدناه إلى الفم , وهناك يضيق المجرى فيحدث الهواء نوعًا من الحفيف , وبذلك تتكوَّن الغين[4] .

---

(1) ينظر : المحتسب 1/ 339 , والمحرر الوجيز 9/ 286 , 287, ومفاتيح الغيب للفخر الرازي 17/ 40 – الهيئة المصرية العامة للكتاب – الطبعة الأولى 1401 هـ - 1981 م , والجامع لأحكام القرآن 3499/4 , والبحر المحيط 6/ 266 , والدر المصون 173/4 , وروح المعاني 6 /417 , وإتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربعة عشر للشيخ محمد البنا الدمياطي . تحقيق د . شعبان محمد إسماعيل 2/ 145 – عالم الكتب – مكتبة الكليات الأزهرية –الطبعة الأولى 1407هـ– 1987م .

(2) ينظر : مختصر في شواذ القرآن صـ 169 , والمحتسب 353/2 , والمحرر الوجيز 235/16 , والجامع لأحكام القرآن 7261/10 , والبحر المحيط 411/10 , والدر المصون 482/6 , وإتحاف فضلاء البشر 589/2 .

(3) ينظر : الكتاب 433/4 , والمقتضب 328/1 , وسر صناعة الإعراب 52/1 , ومن المحدثين من ذهب إلى أن مخرج الغين من أقصى الحنك . ينظر : علم اللغة العام (القسم الثاني " الأصوات ") د . كمال محمد بشر صـ 121 .

(4) الأصوات اللغوية د . إبراهيم أنيس صـ 87 , 88 . وينظر علم اللغة د . محمود السعران صـ 177 , 178 , وعلم اللغة (القسم الثاني " الأصوات ") د . كمال محمد بشر صـ 121 .

إذًا فكلا الصَّوتين من الأصوات الحلقية , ولكن إن بدا الخلاف بينهما من النَّاحية الوصفيَّة من جهة أن صوت الغين من الأصوات الرَّخوة بخلاف صوت العين فهو عند القدامى من الأصوات المتوسطة بين الشِّدَّة والرَّخاوة , فإن الاتفاق بينهما يبدو واضحًا في الاشتراك في كثير من الصِّفات الصَّوتية الأخرى وهي : الجهر والانفتاح والإصمات ثم الاحتكاك على رأي المحدثين[1] .

وربما كان هذا التَّقارب الذي جمع بينهما هو السَّبب الرئيس في تحقيق صورة الإبدال بينهما في كثير من كلمات العربية .

وقد تحقَّقت قضية الإبدال بين صوتي الغين والعين في القراءات القرآنية من خلال صورتين هما :

(أ) (**شغفها** , **شعفها**)

حاول بعض العلماء التَّفرقة بين الشَّغف – بالغين – والشَّعف– بالعين – , فروي عن الشعبي أنه قال : الشَّغف – بالغين المعجمة – : حبٌّ , والشَّعف – بالعين غير المعجمة – : جنون[2] .

ولكن هذا المعنى ممتنع الإرادة هنا على هذه القراءة كما ذكر الألوسي[3] .

فالثَّابت عند أهل اللغة أن المعنى واحد أو متقارب بين الغين والعين في تلك اللفظة , حيث يقول الجوهري عن شغفها– بالغين – : " الشَّغافِ : غلاف القلب , وهو جلدة دونَه كالحجاب . يقال : شَغَفه الحُبُّ : أي بلغ شَغَافَه[4] " .

وأما عن شعفها – بالعين – فيقول : " الشَعَفَةُ – بالتحريك – رأس الجبل . والجمع شِعَاف : وهي رءوس الجبال ... وشعَفَه الحُبُّ : أي أحرق قلبه , وقال أبو زيد : أمرضه ... وشَعَفْتُ البعير بالقَطِران : " إذا طليتَه به[5] " .

---

(1) ينظر : الكتاب 434/4 : 436 , وسر صناعة الإعراب 69/1 , 70 , 74 , ونهاية القول المفيد صـ 44 : 53 , والأصوات اللغوية د . إبراهيم أنيس ـ 87 , 88 , وعلم اللغة العام (القسم الثاني " الأصوات ") د . كمال محمد بشر صـ 98 .

(2) الجامع لأحكام القرآن 3499/4 . وينظر : البحر المحيط 266/6 , والدر المصون 173/4 .

(3) روح المعاني 417/6 .

(4) الصحاح (ش غ ف) 1382/4 .

(5) الصحاح (ش ع ف) 1381/4 , 1382 . وينظر : لسان العرب 2280/4 , 2285 .

ويبدو مما قاله أهل التفسير أيضًا أن المعنى واحد أو متقارب بينهما , حيث ذكر الرازي : " أن الشغاف فيه وجوه :-

الأول : أن الشغاف جلدة محيطة بالقلب يقال لها غلاف القلب , يقال : شغفت فلانًا : إذا أصبت شغافه كما تقول كبدته : أي أصبت كبده . فقوله تعالى : ﴿ شَغَفَهَا حُبًّا ﴾أي دخل الحبُّ الجلد حتى أصاب القلب .

الثاني : أن حُبَّه أحاط بقلبها مثل إحاطة الشغاف بالقلب , ومعنى إحاطة ذلك الحب بقلبها هو أن اشتغالها بحبه صار حجابًا بينها وبين كل ما سوى هذه المحبة فلا تعقل سواه ولا يخطر ببالها إلا إيَّاه .

الثالث : قال الزجاج : الشغاف : حبة القلب وسويداء القلب , والمعنى أنه وصل حبه إلى سويداء قلبها , وبالجملة فهذا كناية عن الحبِّ الشديد والعشق العظيم .

وأما شعفها – بالعين – فقال عنها ابن السكيت : يقال : شعفه الهوى : إذا بلغ إلى حد الاحتراق , وشعف الهناء البعير إذا بلغ منه الألم إلى حد الاحتراق .

وكشف أبو عبيدة عن هذا المعنى فقال : الشعف – بالعين – إحراق الحب القلب مع لذَّة يجدها , كما أن البعير إذا هُنِئَ بالقطران يبلغ منه مثل ذلك ثم يستروح إليه .

وقال ابن الأنباري : الشعف رءوس الجبال , ومعنى شعف بفلان : إذا ارتفع حبُّه إلى أعلى المواضع من قلبه[1] .

فالمعنى يكاد يكون واحدًا بين تلك الأقوال جميعًا , وقد حسم ابن جنِّي تلك القضيَّة بقوله : " تأويل " شَغَفَها " – بالغين – أنه خَرَّق شَغاف قلبها ، وهو غلافه , فوصل إلى قلبها ، وأما " شعفها " فمعناه وصل حبُّه إلى قلبها , فكاد يحرقه لحدَّته ، وأصله من البعير يُهْنَأ بالقطران فيصل حرارة ذلك إلى قلبه .

قال الشاعر :-

أيقتلني وقد شَعَفْتُ فؤادها ... كما شَعَفَ المَهنُوءَةَ الرجلُ الطَّالِي[2] ؟".

---

(1) مفاتيح الغيب 39/17 , 40 . وينظر : معاني القرآن وإعرابه للزجاج . تحقيق د . عبد الجليل شلبي 105/3 – دار الحديث – القاهرة – الطبعة الثانية 1418هـ – 1997م .

(2) المحتسب 339/1 . ومعنى البيت أنه يقول : أحْرَقْتُ فؤادها بحبي كما أحرق الطَّالِي هذه المهنُوءة , ففؤادها طائر من لَذَّة الهناء ؛ لأن المهنُوءة تجد للهناء لذَّة مع حرقة . لسان العرب (ش ع ف) 2280/4 . وينظر : ديوان امرئ =

(ب) (يغنيه , يعنيه)

حاول بعض العلماء التَّفرقة بين دلالة اللفظتين , فاختلاف الصورة عندهم كان له تأثيره الإيجابي في تغيير المعنى , وتوضيح ذلك على النحو التالي :

(يغنيه) – بالغين المعجمة – من الإغناء , أي حال يشغله عن الأقرباء[1] , والشَّأن الذي يغنيه هو فكره في سيئاته وخوفه على نفسه من التَّخليد في النَّار , والمعنى يغنيه عن اللقاء مع غيره والفكرة في أمره , قال قتادة : أفضى كلُّ إنسان إلى ما يشغله عن غيره[2] .

قال أهل المعاني : يغنيه أي ذلك الهمُّ الذي بسبب خاصَّة نفسه قد ملأ صدره , فلم يبق فيه متسع لهمٍّ آخر , فصار شبيهًا بالغنى في أنه حصل عنده من ذلك المملوك شيء كثير[3] .

(يعنيه) – بفتح الياء والعين غير منقوطة – من قولك : عنانى الأمر : أي قصدنى وأرادنى [4] .

ولكن معنى الاهتمام واضح في القراءتين كما قال الألوسي : " ومعنى (يغنيه) : أي عن النَّظر في شأن الآخر من الإغناء , أما (يعنيه) : أي يهمه من عناه الأمر : إذا أهمَّه , أي أوقعه في الهمِّ , لا من عناه إذا قصده كما زعم أبو حيَّان[5] " .

وقد ذكر الزَّجاج هذا المعنى بقوله : " وقد قرئت شأن يَعْنيه , أي شأن لا يهمه معه غيرُه , وكذلك يغنيه لا يَقْدر مع الاهتمام به على الاهتمام بغيره[6] " .

= القيس . تحقيق . محمد أبو الفضل إبراهيم صـ 233 – دار المعارف , والكشاف 462/2 , 463 , وأساس البلاغة للزمخشري . تحقيق . عبد الرحيم محمود (هـ ن أ) صـ 488 – دار المعرفة – بيروت – لبنان , والمحرر الوجيز 287/9 , وإعراب القراءات الشواذ للعكبري . دراسة وتحقيق . محمد السيد أحمد عزوز صـ 696 , 697 – عالم الكتب – بيروت – لبنان – الطبعة الأولى 1417هـ - 1996م ، والجامع لأحكام القرآن 3498/4 , 3499 , ولسان العرب(ش ع ف) ,و (ش غ ف) 2280/4 , 2285 , والدر المصون 163/4 .

[1] الجامع لأحكام القرآن 7261/10 .

[2] المحرر الوجيز 235/16 .

[3] مفاتيح الغيب 230/31 .

[4] المحرر الوجيز 235/16 . وينظر : البحر المحيط 411/10 , والدر المصون 482/6 .

[5] روح المعاني 252/15 . وينظر : الكشاف 705/4 , والجامع لأحكام القرآن 7261/10 , والقراءات الشاذة وتوجيهها من لغة العرب . عبد الفتاح القاضي صـ 87 – الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية – القاهرة 1395هـ - 1975م .

[6] معاني القرآن وإعرابه للزجاج 287/5 .

إذًا فالمعنى واحد في تلك القراءتين , يؤكِّد ذلك أهل اللغة , حيث يقول ابن منظور : " وعناه الأمر يعنيه عناية وعنيًا : أهمَّه . وقوله تعالى :﴿ لِكُلِّ ٱمْرِيٍٕ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾ , وقرئ يعنيه – بالعين المهملة – , فمعناه له شأن لا يهمه معه غيره , وكذلك شأن يغنيه , أي لا يقدر مع الاهتمام به على الاهتمام بغيره , وقال أبو تراب : يقال : ما أغنى شيئًا , وما أعنى شيئًا , بمعنى واحد[1] ".

ويزيد ابن جنِّي هذا الأمر وضوحًا وإن كانت قراءة الجمهور أقوى في المعنى من وجهة نظره فيقول عن قراءة (يعنيه) – بالعين المهملة – : "وهذه قراءة حسنة أيضًا , إلا أن التي عليها الجماعة أقوى معنى , وذلك أن الإنسان قد يَعْنِيهِ الشيءُ ولا يُغْنِيهِ عن غيره , وذلك كأنَّ يكون له ألف درهم , فيؤخذ منها مائة درهم , فيعنيه أمرها , ولا يغنيه عن بقية ماله أن يهتم به ويراعيه ، فأما إذا أغناه الأمر عن غيره فإن ذلك أقوى المطْلبين , وأعلى الغرضين[2] " .

(4) **الإبدال بين الكاف والقاف**

(أ) (كافورا ، قافورا)

قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ﴾ الإنسان(5).

القراءة بالكاف : الجمهور .

القراءة بالقاف : عبد الله بن مسعود[3] .

العلاقة الصوتية : التقارب .

(ب) (كشطت ، قشطت)

قال تعالى :﴿ وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ كُشِطَتْ ﴾ التكوير (11) .

القراءة بالكاف : الجمهور .

القراءة بالقاف : عبد الله بن مسعود[4] .

---

(1) لسان العرب (ع ن ى) 3146/4 .

(2) المحتسب 2 / 353 .

(3) ينظر: البحر المحيط 10 /360 ، والدر المصون 6 / 441 0

(4) ينظر : معاني القرآن للفراء 3 / 241 ، ومختصر في شواذ القرآن صـ 169 ، والمحرر الوجيز 16 / 240 ، والكشاف 4 / 709 ، ومفاتيح الغيب 240/31 , والجامع لأحكام القرآن 10 / 7271 ، والبحر المحيط10 / 417 ، والدر المصون 6 / 486 .

(جـ) (تقهر ، تكهر)

قال تعالى : ﴿ فَأَمَّا ٱلۡيَتِيمَ فَلَا تَقۡهَرۡ ﴾ الضحى (9) .

القراءة بالقاف : الجمهور .

القراءة بالكاف : عبد الله بن مسعود والشعبي وإبراهيم التيمي والأشهب العقيلي[1] .

الشرح والتحليل

وقع التَّعاقب بين صوتي القاف والكاف نظرًا لشدَّة التَّقارب بينهما مخرجًا إضافة إلى الاتفاق بينهما في بعض الصِّفات الصَّوتيَّة .

فمن ناحية المخرج فصوت القاف يخرج من أقصى اللسان ، وما فوقه من الحنك الأعلى ، أما صوت الكاف فهو يخرج من أسفل من موضع القاف من اللسان قليلا ، وما يليه من الحنك الأعلى[2].

فعند النطق بصوت القاف يندفع الهواء من الرئتين مارًّا بالحنجرة فلا يحرك الوترين الصوتيين ، ثم يتخذ مجراه في الحلق حتى يصل إلى أدنى الحلق من الفم ، وهناك ينحبس الهواء باتِّصال أدنى الحلق (بما في ذلك اللهاة) بأقصى اللسان ثم ينفصل العضوان انفصالا مفاجئًا ، فيحدث الهواء صوتًا انفجاريًّا شديدًا . فلا فرق بين القاف كما نتطق بها ، وبين الكاف إلا في أن القاف أعمق قليلا في مخرجها . لذلك يمكن أن تسمَّى القاف صوتًا لهويًّا نسبة إلى اللهاة .

وأما صوت الكاف فعند النطق به يندفع الهواء من الرئتين مارًّا بالحنجرة فلا يحرك الوترين الصوتيين ، ثم يتخذ مجراه في الحلق أولا ، فإذا وصل إلى أقصى الفم قرب اللهاة انحبس الهواء انحباسًا كاملا ، لاتِّصال أقصى اللسان بأقصى الحنك الأعلى ، فلا يسمح بمرور الهواء ، فإذا انفصل العضوان انفصالا مفاجئًا انبعث الهواء إلى خارج الفم محدثًا صوتًا انفجاريًّا هو ما نسميه بالكاف[3] .

---

(1) ينظر: معاني القرآن للفراء 3 / 274 ، والمحرر الوجيز 16 / 323 ، والكشاف 4 / 768 , والجامع لأحكام القرآن 10 / 7439 ، ولسان العرب (ك هـ ر) 6 / 3946 ، والبحر المحيط10/ 498 ، والدر المصون 6 / 539 . وبدون نسبة في مفاتيح الغيب 31 / 484 .

(2) الكتاب 4 / 433 . وينظر : العين 1/ 58 ، والمقتضب 1 / 328 , وسر صناعة الإعراب1/ 52 ، وشرح المفصل 10/ 123 ، وارتشاف الضرب من لسان العرب لأبي حيان الأندلسي . تحقيق . مصطفى أحمد النماس 1/6 – الطبعة الأولى 1404هـ - 1984م , ونهاية القول المفيد صـ 34 .

(3) الأصوات اللغوية د . إبراهيم أنيس صـ83 ، 84 ، 86 ، 87 . وينظر : علم اللغة د . محمود السعران صـ 155 ، 156 , وعلم اللغة العام (القسم الثاني " الأصوات") د. كمال محمد بشر صـ 108 ، 109 .

إذًا فالتقارب المخرجيُّ واضح بينهما تمامًا ، إضافة إلى الاتفاق في بعض الصِّفات الصَّوتية وهي : الشِّدَّة والانفتاح والإصمات مع صفة الهمس على رأي المحدثين ، لأن " القاف كما ينطق بها الآن في مصر بين مجيدي القراءات صوت شديد مهموس ، رغم أن جميع كتب القراءات قد وصفتها بأنها أحد الأصوات المجهورة "[1] .

وهذا الاتفاق الواضح بينهما ربَّما كان هو السَّبب في جواز وقوع الإبدال بينهما .

هذا ، وقد تحقَّقت صورة الإبدال بين صوتي الكاف والقاف في كثير من كلمات العربيَّة ، ومن بينها تلك الكلمات القرآنيَّة الثلاث ، حيث تغيَّرت صورة هذه الكلمات بدون تأثير على المعنى بل ظل المعنى واحدًا , وتوضيح ذلك على النحو التالي :

(أ) (كافورا ، قافورا)

ذكر الفرَّاء أن " العرب تقول : القافور والكافور ... إذا تقاربا الحرفان في المخرج تعاقبا في اللغات [2]" .

وذكرها أبو الطَّيب اللغوي في كتاب الإبدال فقال : " والكافُور والقافُور : وعاء الطَّلع[3] " .

وأكَّد على ذلك أبو حيَّان عندما قال : " وقرأ عبد الله : قافورًا بالقاف بدل الكاف ، وهما كثيرًا ما يتعاقبان في الكلمة ، كقولهم : عربي قح وكح[4] " .

(ب) (كشطت ، قشطت)

قال الزَّجاج : " كشطت " وقرئت قُشِطَتْ بالقاف ، ومعناهما قُلعَت كما يُقْلَع السَّقفُ , يقال : كَشَطْتُ السقفَ وقشطت السقف بمعنى واحد ، والقاف والكاف تبدل إحداهما من الأخرى كثيرًا ، ومثل ذلك : لبكت الشيء ولبقته : إذا خَلطَته[5] " .

ويقول ابن السكيت : " وقد قَشَطْتُ عنه جْلَدُه وكَشَطْتُ[6] " .

---

(1) الأصوات اللغوية د. إبراهيم أنيس صـ 84 .

(2) معاني القرآن 3 / 241 . وينظر : لسان العرب (ك ش ط) 5 / 3882 ، 3883 0

(3) الإبدال 2 / 363 .

(4) البحر المحيط 10 /360 .

(5) معاني القرآن وإعرابه للزجاج 5/291. وينظر : معاني القرآن للفراء 3 / 241 .

(6) الإبدال صـ 113 . وينظر : الإبدال لأبي الطيب اللغوي 2 / 356 .

ثم يؤكِّد الزمخشري هذا المعنى بقوله : " كشطت : كشفت وأزيلت ، كما يكشط الإهاب عن الذَّبيحة ، والغطاء عن الشيء , وقرأ ابن مسعود : قشطت , واعتقاب الكاف والقاف كثير , يقال : لبكت الثريد ولبقته ، والكافور والقافور[1] " .

ثم نختم الحديث عن هذه اللفظة بما ورد عن ابن منظور ، حيث قال : " وفي التنزيل العزيز : ﴿ وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ كُشِطَتۡ ﴾؛قال الفرَّاء : يعني نُزِعَتْ فَطُوِيَتْ ، وفي قراءة عبد الله قُشِطَتْ ، بالقاف ، والمعنى واحد[2] ".

(جـ) (تقهر ، تكهر)

ذكر ابن السَّكيت أن القهر والكهر بمعنى واحد فقال : " ويقال : قَهَرْتُ الرجل أقهَرَه وكَهَرْته أكَهُره[3] " .

وكذلك ذكر في لسان العرب أن " كهره وقهره بمعنى ... وزعم يعقوب أن كافه بدل من قاف تقهر[4] ".

ويزيد أبو حيان الأمر توضيحًا فيقول :" القهر : هو التَّسليط بما يؤذي ,وقرأ الجمهور : (تقهر) بالقاف ؛ وابن مسعود وإبراهيم التيمي : بالكاف , وهي لغة بمعنى قراءة الجمهور[5] ".

إذًا فقد ثبت أن تغيير صورة هذه الكلمات الثَّلاث بين الكاف والقاف لم يترك تأثيرًا على المعنى ، بل ظل المعنى واحدًا في كل .

والخلاصة في ذلك أن بعض القبائل العربيَّة قد لجأت إلى النُّطق بالكاف ، في حين لجأت القبائل الأخرى إلى النُّطق بالقاف .

وقد روت كتب التُّراث ما يؤكِّد هذا الأمر ، حيث ذكرت أن قبيلة قريش قد مالت إلى النطق بالكاف ، في حين مالت قبائل قيس وتميم وأسد إلى النطق بالقاف .

حيث ذكر ابن السِّكيت في كتاب الإبدال أن " قريشًا تقول : كُشطَتْ ، وقيس وتميم وأسد تقول " قُشِطت " وفي مصحف عبد الله بن مسعود : " قُشِطت : بالقاف[6] ... " .

---

(1) الكشاف 4 / 709 .
(2) لسان العرب (ك ش ط) 5 / 3882 .
(3) الإبدال صـ 113 ، 114 . وينظر : الإبدال لأبي الطيب اللغوي 2 / 356 ، والمزهر 1/ 564.
(4) لسان العرب (ك هـ ر) 3946/5 . وينظر : المحرر الوجيز 16/ 323 ، والدر المصون 6 / 539 .
(5) البحر المحيط 497/10 ، 498 .
(6) الإبدال صـ 114 .

وذكر ابن جنِّي رواية الفرَّاء فقال : " قال الفرَّاء : قريش تقول : كُشطَتْ ، وقيس وتميم تقول " قُشِطت " بالقاف[1] " .

وذكر ابن منظور رواية يعقوب فقال : " قال يعقوب : قريش تقول : كَشَط ، وتميم وأسد يقولون قَشَطَ[2] " .

وكذلك ذكر السيوطي أن " قريشًا تقرأ : وَإِذَا ﴿ ٱلسَّمَآءُ كُشِطَتۡ ﴾ وأسد قُشِطت ، وكذا هي في مصحف ابن مسعود[3] " .

ويمكن تعليل هذا الأمر بأن " قريشًا وهي من بيئة حضريَّة تجنح دائمًا إلى الأصوات المهموسة ، لذلك نطقتها (بالكاف) ، أما البيئات البدويَّة من تميم وأشياعهم فيميلون إلى الأصوات المجهورة الشَّديدة ، لذلك نطقوها (بالقاف) , والقاف أعمق في مخرجها من الكاف[4] " .

ولكن لم تنته القضيَّة بعد عند هذا الحدِّ ، حيث ورد في كتب التُّراث ما يناقض الحكم السَّابق ، ويهدم القاعدة السَّابقة ، فنسب النطق بالكاف فيها لقيس ، والقاف لتميم ، فيقول صاحب لسان العرب : " قيس تقول : كَشَطْتُ ، وتميم تقول : قشَطْت ، بالقاف[5] " .

وقد حاول الدكتور / أحمد علم الدين الجندي أن يجد تعليلا لهذا الأمر فقال : " لا أجد حلا لهذا التَّضارب إلا أن بعض بطون قيس قد شاركت قريشًا في نطقها بالكاف ، وهذا ما أرجحه ؛ لأن قيسًا لها بعض القبائل والبطون المتاخمة لمنطقة الحجاز كغطفان[6] " .

ولكن كيف يمكن أن نجد حلا لنسبة النُّطق بالكاف لبني أسد ، وهي من القبائل البدويَّة ، حيث يقول الفرَّاء عن قراءة عبد الله بن مسعود : (فلا تكهر) : " وسمعتها من أعرابي من بني أسد قرأها عليَّ[7] " .

---

(1) سر صناعة الإعراب 1 / 278 .

(2) لسان العرب (ك ش ط) 5 / 3882 .

(3) المزهر 1 / 564 .

(4) اللهجات العربية في التراث د. أحمد علم الدين الجندي 2 / 463 .

(5) لسان العرب (ك ش ط) 5 / 3882 .

(6) اللهجات العربية في التراث 2 / 463 .

(7) معاني القرآن 3 / 274 .

ويقول ابن السِّكيت : " وسمعت بعض بني غَنْم بن دودان من بني أسد يقول : " فلا تَكْهَرْ[1] " .

إضافة إلى أنَّه من الغريب أيضًا أن ينسب النُّطق بالقاف لابن مسعود في قراءتي " كشطت " و " كافورًا " في حين ينسب له النُّطق بالكاف في " فلا تقهر " وهو من أبناء قبيلة هذيل .

وهذا يؤكِّد أن القارئ كان يلتزم بالرِّواية التي تثبت عن طريق التلقِّي والمشافهة ، وليس للبيئة المحيطة به أي تأثير على قراءته " فالقوانين التي تخضع لها اللهجات ليست كالقوانين الطَّبيعية في الكون ، تلتزم حالة واحدة لا شذوذ فيها ، بل يكتفي اللغوي عادة حين يحكم على صفات لهجة من اللهجات بالكثرة الغالبة من صفاتها " [2] .

(5) الإبدال بين الضَّاد والطَّاء والصَّاد

(حصب ، حضب ، حطب)

قال تعالى : ﴿ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَٰرِدُونَ ﴾الأنبياء (98) .

القراءة بالصَّاد : الجمهور .

القراءة بالضَّاد : عبد الله بن عباس .

القراءة بالطَّاء : أُبيٌّ بن كعب وعليُّ بن أبي طالب وعائشة وابن الزُّبير وزيد بن على وعكرمة[3] .

العلاقة الصَّوتية : التَّقارب .

---

(1) الإبدال صـ 114 .

(2) في اللهجات العربية د. إبراهيم أنيس صـ 77 بتصرف يسير .

(3) ينظر : معاني القرآن للفراء 2 /212 ، والمحتسب 2 / 66 ، 67 ، والمحرر الوجيز 11 / 167 ، والجامع لأحكام القرآن 6 / 4524 ، ولسان العرب (ح ص ب) 2 / 894 ، والبحر المحيط7 / 469 ، وتفسير القرآن العظيم 3 / 263 ، والدر المصون 5 /113 , وإتحاف فضلاء البشر2/ 267 . وزاد ابن خالويه في مختصر شواذ القرآن اليماني في القراءة بالضاد صـ 95 . وبدون نسبة في : الكشاف 3/ 136، ومفاتيح الغيب 21 /210 ، وإملاء ما مَنَّ به الرحمن 2/137.

الشَّرح والتَّحليل

بعد عرض القراءات السابقة يجد القارئ نفسه أمام ثلاثة أصوات تعاقبت على هذه الكلمة وهي أصوات الصاد والضاد والطاء بدون حدوث تغيير في المعنى ، وهذه هي قصَّة الإبدال .

والعلاقة المخرجيَّة تبدو واضحة تمامًا بين تلك الأصوات الثلاثة ، إضافة إلى الاتفاق في بعض الصِّفات الصَّوتية .

فمن النَّاحية المخرجيَّة يخرج صوت الصَّاد مما بين طرف اللسان وفُوَيْق الثنايا[1]، فعند النُّطق بهذا الصَّوت يندفع الهواء من الرئتين مارًّا بالقصبة الهوائية فالحنجرة فتنبسط فتحة المزمار ويبتعد الوتران الصَّوتيان عن بعضهما فلا يهتزان فالحلق ، فاللسان : أقصاه ووسطه إلى أن يصل إلى طرفه فيتصل طرفه بأطراف الثَّنايا السُّفلى اتصالا غير محكم فيحدث الاحتكاك المسموع والشبيه بالصفير [2] .

وأما صوت الضَّاد فهو من الأصوات التي كانت محلَّ اختلاف بين القدامى والمحدثين ، حيث اختلف المخرج فيها عند كل منهما فنتج عن إثره اختلاف في بعض الصِّفات الصَّوتية , حيث يرى القدامى أن صوت الضَّاد يخرج من بين أول حافة اللسان وما يليها من الأضراس[3]، إلا أنَّك إن شئت تكلفتها من الجانب الأيمن وإن شئت من الجانب الأيسر[4].

وأما مخرج الضَّاد عند المحدثين فهو نفس مخرج أصوات التَّاء والدَّال والطَّاء[5] ، أي من بين طرف اللسان وأصول الثَّنايا[6] ، فيتم نطق هذا الصوت بخروج الهواء مارًّا بالحنجرة ،

---

(1) الكتاب 4 / 433 . وينظر : سر صناعة الإعراب 1 / 52 , والمقتضب 1 / 329 .

(2) علم الصوتيات وتجويد آيات الله البينات د .إبراهيم محمد أبو سكين صـ103. وينظر : الأصوات اللغوية د. إبراهيم أنيس صـ76 ، وعلم اللغة د. محمود السعران صـ175 ، وعلم اللغة العام (القسم الثاني " الأصوات ") د. كمال محمد بشر صـ120 .

(3) كتاب سيبويه 4 / 433 .

(4) سر صناعة الإعراب 1 / 52 . وينظر : المقتضب 1 / 329 .

(5) علم اللغة العام (القسم الثاني " الأصوات ") د. كمال محمد بشر صـ104.

(6) الكتاب 4 / 433 . وينظر : المقتضب 1 / 329 ، وسر صناعة الإعراب 1 / 53 .

فيهتز الوتران ، وفي الفم يحدث تضييق بين مؤخر اللسان وأقصى الحنك – من أجل الإطباق – فيمر الهواء ، ثم يحدث غلق محكم بين مقدم اللسان واللثة وأصول الثَّنايا العليا ، وبانفجار أعضاء النطق يحدث صوت (الضَّاد)[1] .

وعلى هذا فصوت الضَّاد عند القدامى صوت رخو بخلاف المحدثين فهو عندهم صوت شديد أو مغلق ؛ " لأن الضاد التي ننطق بها الآن في مصر لا تختلف عن الدَّال في شيء سوى أن الضَّاد أحد أصوات الإطباق[2] " .

ويبدو أن القدامى كانوا يتحدثون عن ضاد غير التي نعرفها ونمارسها نطقًا اليوم في جمهورية مصر العربية[3] .

وأما صوت الطَّاء فمخرجه من بين طرف اللسان وأصول الثَّنايا[4] ، فعند النُّطق بهذا الصَّوت يندفع الهواء من الرئتين مارًّا بالقصبة الهوائية فالحنجرة فتنبسط فتحة المزمار ويتسع الممرُّ الصَّوتي فلا تهتز الأوتار الصوتية فالحلق فاللسان إلى أن يصل إلى طرفه فيتصل طرفه بأصول الثنايا العليا اتصالا محكمًا يمنع تسرب الهواء ثم ينفصل عضوا النطق فجأة فيخرج صوت الطاء[5] .

وصوت الطَّاء أيضًا من الأصوات التي كانت محلَّ اختلاف بين القدماء والمحدثين ، حيث إنها عند القدماء تمثِّل أحد الأصوات المجهورة لقوَّة صوته عند خروجه ، ومهموسًا عند المحدثين لعدم هزِّه الأوتار الصَّوتية . كما ينطق به في الفصحى في مصر في أيامنا هذه[6] .

---

(1) علم الصوتيات د. عبد الله ربيع ، د. عبد العزيز علام صـ 224 – المكتبة التوفيقية . وينظر : الأصوات اللغوية د. إبراهيم أنيس صـ 48 ، وعلم اللغة د. محمود السعران صـ 155 ، وعلم الصوتيات د. إبراهيم محمد أبو سكين صـ 91 ، 92 .

(2) الأصوات اللغوية د. إبراهيم أنيس صـ 48 .

(3) علم اللغة العام (القسم الثاني " الأصوات) د. كمال محمد بشر صـ 105.

(4) الكتاب 4 / 433 . وينظر : سر صناعة الإعراب 1 / 53 ، والمقتضب 1 / 329 .

(5) علم الصوتيات د. إبراهيم محمد أبو سكين صـ 86 . وينظر : الأصوات اللغوية د. إبراهيم أنيس صـ 61 ، 62 ، وعلم اللغة د. محمود السعران صـ 155 ، وعلم اللغة العام (القسم الثاني " الأصوات ") د. كمال محمد بشر صـ 102 .

(6) علم الصوتيات د. إبراهيم محمد أبو سكين صـ 85 .

ويبدو أن هناك تطورًا حدث في نطق هذا الصوت كما يقول الدكتور / إبراهيم أنيس : " وقد أجمع الرُّواة في وصفهم للطَّاء القديمة على أنها صوت مجهور ، مما يحملنا على الاعتقاد أن الطَّاء القديمة تخالف التي ننطق بها الآن[1] " .

ومن خلال هذا الوصف المخرجي لهذه الأصوات الثلاثة – الصَّاد والضَّاد والطَّاء – يبدو وجود التَّماثل بينهما في مخرج واحد كما بين صوتي الضاد والطاء ، أو التَّقارب كما بين هذين الصوتين وصوت الصاد ، إضافة إلى الاتِّفاق في صفات الإطباق والاستعلاء والإصمات مما كان له تأثيره الإيجابي في جواز وقوع الإبدال بينهم في كلمات العربية .

وقد تبادلت الأصوات الثَّلاثة في القراءات القرآنيَّة من خلال ألفاظ (حصب ، وحضب ، وحطب) لمعنى واحد يجمع بينهم جميعا ، حيث ذكر الفرَّاء : " أن الحَصَب في لغة أهل اليمن الحَطَب ... وعن ابن عبَّاس أنَّه قرأ (حَضَب) بالضاد ، وكل ما هيَّجت به النَّار أو أوقدتها به فهو حَضَب ، وأما الحَصَب فهو في معنى لغة نجد : ما رميت به في النَّار ، كقولك : حَصَبت الرَّجل : أي رميته[2] " .

ويزيد ابن جنِّي هذا الأمر توضيحًا فيقول : " أما الحَضَب بالضَّاد مفتوحة ، وكذلك بالصَّاد غير معجمة فكلاهما الحَطَب ، ففيه ثلاث لغات : حَطَب ، وحَضَب ، وحَصَب . وإنما يقال : حَصَب : إذا أُلقي في التَّنُّور والموقد . فأما ما لم يستعمل فلا يقال له : حَصَب . وقال أحمد بن يحيى : أصل الحَصْب الرَّمي ، حطبًا كان أو غيره ، فهذا يؤكِّد ما ذكرناه من كونه المَرْميِّ في النَّار[3] " .

إذًا فالحَصَب : كل ما ألقيته في النَّار من حطب وغيره ... وكل ما ألقيته في النار فقد حَصَبْتها به ، ولا يكون الحَصَب حَصَبًا حتى يُسْجَر به. وقيل : الحَصَب : الحَطَب عامة ... والحَضَب : لغة في الحَصَب ... والحَطَب : ما أُعدَّ من الشَّجر شَبُوبًا للنَّار[4] .

---

(1) الأصوات اللغوية صـ 62 .

(2) معاني القرآن 2 / 212 .

(3) المحتسب 2 / 67 0

(4) لسان العرب (ح ص ب ، ح ض ب ، ح ط ب) 2 / 893 ، 894 ، 905 ، 913 . وينظر : الإبدال لأبي الطيب اللغوي 2 / 250 , والصحاح 1 / 112 ، 113 , والمحرر الوجيز 11 /167 ، والجامع لأحكام القرآن 6 / 4524 ، وإملاء ما مَنَّ به الرحمن 2 / 137 ، وإتحاف فضلاء البشر 2 / 267.

(6) الإبدال بين اللام والنُّون

(أ) (إسرائيل ، إسرائين)

قال تعالى : ﴿ يَـٰبَنِىٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ ... ﴾ البقرة (40) .

القراءة باللام : الجمهور .

القراءة بالنُّون : الحَسَن والزهري وابن أبي إسحاق [1] .

العلاقة الصَّوتية : التَّماثل .

(ب) (جبريل ، جبرين)

قال تعالى :﴿ قُلۡ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبۡرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلۡبِكَ ... ﴾ البقرة(97) .

﴿ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَـٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبۡرِيلَ وَمِيكَىٰلَ ... ﴾ البقرة (98) .

القراءة باللام : الجمهور .

القراءة بالنُّون : بعض العرب[2] .

الشَّرح والتَّحليل

يبدو التَّقارب واضحًا بين صوتي اللام والنُّون من النَّاحية المخرجيَّة من جهة أن كلا منهما صوت أسناني لثوى ، فصوت اللام يخرج من حافة اللسان من أدناها إلى منتهى طرف اللسان ، من بينها وبين ما يليها من الحنك الأعلى ، مما فويق الضَّاحك ، والنَّاب ، والرباعية ، والثنية ، وأما صوت النُّون فيخرج من طرف اللسان بينه وبين ما فويق الثنايا[3] .

فيتكون صوت اللام " بأن يمرَّ الهواء بالحنجرة فيحرك الوترين الصَّوتيين ، ثم يتخذ مجراه في الحلق وعلى جانبي الفم في مجرى ضيق يحدث فيه الهواء نوعًا ضعيفًا من الحفيف .

---

(1) ينظر : المحتسب 1 / 79 ، والمحرر الوجيز 1 / 196 ، والجامع لأحكام القرآن 1 / 372 ، والبحر المحيط 1 / 278 ، والدر المصون 1 / 203 .

(2) ينظر : مختصر في شواذ القرآن صـ 16 . وبدون نسبة في : مفاتيح الغيب 3 / 268 ، والجامع لأحكام القرآن 1 / 535 ، والبحر المحيط 1 / 510 .

(3) سر صناعة الإعراب 1 / 52 . وينظر : الكتاب 4 / 433 ، والمقتضب 1 / 329.

وفي أثناء مرور الهواء من أحد جانبي الفم أو من كليهما ، يتصل طرف اللسان بأصول الثَّنايا العليا ، وبذلك يحال بين الهواء ومروره من وسط الفم فيتسرب من جانبيه[1] " .

فيسمَّى صوت اللام بالصوت المنحرف ؛ لأن اللسان ينحرف فيه مع الصَّوت ، وتتجافى ناحيتا مُسْتَدق اللسان عن اعتراضهما على الصَّوت ، فيخرج الصوت من تينك الناحيتين ومما فُوَيْقهما[2] .

وأما صوت النُّون " فعند النطق به يندفع الهواء من الرئتين محركًا الوترين الصوتيين ، ثم يتخذ مجراه في الحلق أولا ، حتى إذا وصل إلى الحلق هبط أقصى الحنك الأعلى فيسد بهبوطه فتحة الفمِّ ويتسرَّب الهواء من التجويف الأنفي محدثًا في مروره نوعًا من الحفيف لا يكاد يسمع[3] " .

وإضافة إلى هذا التَّقارب المخرجيِّ فقد وقع بينهما الاشتراك في كثير من الصِّفات الصَّوتية وهي : الجهر والتَّوسط بين الشِّدَّة والرَّخاوة والانفتاح والاستفال والذلاقة[4] .

وفي النِّهاية فإن صوتي اللام والنون إضافة إلى صوت الرَّاء مع قرب مخارجها تشترك في نسبة وضوحها الصَّوتي ، وأنها من أوضح الأصوات الساكنة في السمع ، ولهذا أشبهت من هذه النَّاحية أصوات اللين[5].

ونظرًا لهذا الاشتراك الواقع بين صوتي اللام والنُّون فقد وقع بينهما الإبدال في كثير من كلمات العربية ، حيث أفرد لهما ابن السكيت وأبو الطَّيب اللغوي بابًا عظيمًا في كتاب الإبدال ، أوردا فيه كثيرًا من الكلمات التي وقع فيها هذا التَّعاقب[6] .

---

(1) الأصوات اللغوية د. إبراهيم أنيس صـ 64 . وينظر : علم اللغة د. محمود السعران صـ 169 ، وعلم اللغة العام (القسم الثاني " الأصوات ") د. كمال محمد بشر صـ 129 ، 130 .

(2) سر صناعة الإعراب 1 / 72 .

(3) الأصوات اللغوية د. إبراهيم أنيس صـ 66 . وينظر : علم اللغة د0 محمود السعران صـ169 ، وعلم اللغة العام (القسم الثاني " الأصوات ") د. كمال محمد بشر صـ 129 ، 130 .

(4) ينظر : الكتاب 4 / 434 ، 436 ، وسر صناعة الإعراب 1 / 69 : 74 .

(5) الأصوات اللغوية د. إبراهيم أنيس صـ63 .

(6) ينظر : الإبدال لابن السكيت صـ 61 : 69 ، والإبدال لأبي الطيب اللغوي 2 / 382 : 414 .

وقد تحقَّقت صورة هذا التعاقب بينهما في القراءات القرآنيَّة من خلال لفظتين هما :

(أ) (إسرائيل ، إسرائين)

إسرائيل : اسم أعجمي ممنوع الصرف للعلمية والعجمة ، وقد ذكروا أنه مركب من إسرا وهو العبد وإيل اسم من أسماء الله تعالى ، فكأنَّه عبد الله وذلك باللسان العبراني ، فيكون مثل جبرائيل ، وميكائيل ، وإسرافيل ، وعزرائيل ... وقيل معنى إسرا : صفوة وإيل : الله تعالى ، فمعناه : صفوة الله ... وقيل : إسرا مشتق من الأسر وهو الشَّدِّ ، فكأنَّ إسرائيل معناه الذي شدَّه الله وأتقن خلقه . وقيل : أسرى بالليل مهاجرًا إلى الله تعالى فسمِّي بذلك . وقيل غير ذلك[1] .

والقراءة بالنُّون لهجة عربية ذكرت في بعض المصادر أنها لغة لبعض العرب[2] دون نسبتها إلى قبيلة بعينها ، ولكنها نسبت في بعض منها إلى أنها لغة لقبيلة تميم[3] .

قال الشاعر :

يقول أهل السوء لما جينا   هذا وربُّ البيت إسرائينا

كما قالوا : سجِّيل ، وسجِّين ، ورفل ، ورفن ، وجبريل ، وجبرين ، أبدلت بالنُّون كما أبدلت النُّون بها في أصيلان قالوا : أصيلال ، وإذا جمعته جمع تكسير قلت : أساريل ، وحكي : أسارلة وأسارل[4] .

(1) البحر المحيط 1 / 277 ، 278 . وينظر : الجامع لأحكام القرآن 1 / 372 ، والدر المصون 1 / 202 ، وروح المعاني 1 / 241 .

(2) مختصر في شواذ القرآن صـ 7 .

(3) ينظر : إعراب القرآن للنحاس . تحقيق د . زهير غازي زاهد 1 / 217 – مطبعة مصطفى العاني – بغداد – الجمهورية العراقية – إحياء التراث الإسلامي – 1397 هـ – 1977 م ، والمحرر الوجيز 1 / 196 ، وإملاء ما مَنَّ به الرحمن 40/1 ، والجامع لأحكام القرآن 1 / 372 .

(4) البحر المحيط 1 / 278 . وينظر : المحرر الوجيز 1/ 196 ، والدر المصون 1 / 203 ، وروح المعاني 1 / 0242 وقد نصَّت كتب اللغة على صورة التَّعاقب الواقع في هذه اللفظة . ينظر : الإبدال لابن السكيت صـ 68 ، والإبدال لأبى الطيب 2 / 402 ، والمزهر 1 / 565 .

(ب) (جبريل ، جبرين)

جبريل : اسم ملك علم له وهو الذي نزل بالقرآن على رسول الله (ﷺ) , وهو اسم أعجمي ممنوع الصرف للعلمية والعجمة ... ومعنى جبر : عبد ، وإيل : اسم من أسماء الله ؛ لأنَّ الأعجمي لا يدخله الاشتقاق العربي[1] .

وقد ذكر ابن خالويه أن (جبرين) لغة بعض العرب[2] , ولكن نصَّ كثير من العلماء على أنها لغة لبني أسد[3] .

(7) الإبدال بين الرَّاء واللَّام

(أ) (برق ، بلق)

قال تعالى :﴿ فَإِذَا بَرِقَ ٱلۡبَصَرُ ﴾القيامة (7) .

القراءة بالرَّاء : الجمهور .

القراءة باللام : أبو السمال[4] .

العلاقة الصَّوتيَّة : التَّقارب .

(ب) (فرق ، فلق)

قال تعالى : ﴿ ...فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرۡقٖ كَٱلطَّوۡدِ ٱلۡعَظِيمِ﴾ الشعراء (63).

القراءة بالرَّاء : الجمهور .

القراءة باللام : حكاه يعقوب عن بعض القُرَّاء[5] .

(1) البحر المحيط 1 / 509 . وينظر : الدر المصون 1 / 312 , وروح المعاني 1 / 332 .

(2) مختصر في شواذ القرآن صـ16 .

(3) ينظر : جامع البيان عن تأويل آي القرآن (تفسير الطبري) 1 / 613 – دار الفكر – بيروت – لبنان – 1405 هـ – 1984 م ، وإعراب القرآن للنحاس 1 / 250 ، والبحر المحيط 1 /318 ، وروح المعاني 1 / 0332 وقد نصَّت كتب اللغة على صورة هذا التَّعاقب الواقع في هذه اللفظة . ينظر : الإبدال لابن السكيت صـ 68 ، والإبدال لأبي الطيب اللغوي 2 / 402 ، والمزهر 1 / 565 .

(4) ينظر : الكشاف 4 / 660 ، ومفاتيح الغيب 31 / 23 ، والبحر المحيط 10 / 346 .

(5) البحر المحيط 8 / 161. وبدون نسبة في : الكشاف 3 / 316 ، ومفاتيح الغيب 23 / 129 .

الشَّرح والتَّحليل

في مرحلة الإبدال السابقة بدت العلاقة الصَّوتيَّة واضحة بين صوتي اللام والنون ، وكذلك في هذا الموضع بانضمام الرَّاء إليهما ؛ لأن صوت الرَّاء يخرج من مُخْرَج النون غير أنه أدخل في ظهر اللسان قليلا ، لانحرافه إلى اللام[1] .

فعند النُّطق بهذا الصَّوت " يندفع الهواء من الرئتين مارًّا بالحنجرة فيحرك الوترين الصَّوتيين ، ثم يتخذ مجراه في الحلق والفم حتى يصل إلى مخرجه وهو طرف اللسان ملتقيًّا بحافة الحنك الأعلى فيضيق هناك مجرى الهواء . والصفة المميزة للرَّاء هي تكرار طرق اللسان للحنك عند النطق بها[2] " .

فأصبحت تلك الصِّفة علامة مميزة لهذا الصَّوت " وذلك أنَّه إذا وقفت عليه رأيت طرف اللسان يتعثر بما فيه من التكرير [3]" .

إذًا فعلاقة الشَّبه واضحة في المخرج بين صوتي الرَّاء واللام ، إضافة إلى الاتِّفاق في كثير من الصِّفات الصَّوتيَّة وهي : الجهر والتَّوسط بين الشِّدَّة والرَّخاوة والانفتاح والاستفال والذلاقة ؛ ولأجل هذا الشَّبه وقع الإبدال بينهما .

ولم تتحقَّق صورة الإبدال بين صوتي الرَّاء واللام في القراءات القرآنيَّة إلا من خلال لفظتين هما :

(أ) (برق ، بلق)

وردت قراءة الجمهور بالرَّاء في هذه اللفظة بخلاف قراءة البعض فباللام على البدل منها ، والسؤال : هل كان تغيير الصُّورة في هذه اللفظة سبب في تغيير المعنى أم أن المعنى ظل واحدًا في كليهما ؟ .

وللإجابة عن هذا السؤال نستعرض أقوال العلماء في ذلك :

يقول الجوهري : " بَرِق البصر – بالكسر – يَبْرُق بَرَقًا : إذا تحيَّر فلم يطرف[4]" .

---

(1) الكتاب 4 / 433 . وينظر : المقتضب 1 / 329 ، وسر صناعة الإعراب 1 / 52 .

(2) الأصوات اللغوية د. إبراهيم أنيس صـ66 . وينظر : علم اللغة د. محمود السعران صـ171 ، وعلم اللغة العام (القسم الثاني " الأصوات ") د. كمال محمد بشر صـ129.

(3) سر صناعة الإعراب 1 / 72 .

(4) الصحاح (ب ر ق) 4 / 1449 . وينظر : معاني القرآن وإعرابه للزجاج 5 / 252 .

"والأصل فيه : أن يكثر الإنسان من النَّظر إلى لمعان البرق ، فيؤثِّر ذلك في ناظره ، ثم يستعمل ذلك في كل حيرة ، وإن لم يكن هناك نظر إلى البرق ، كما قالوا قمر بصره : إذا فسد من النَّظر إلى القمر ، ثم استعير في الحيرة[1] ... " .

وأما بَرَق – بفتح الراء – فهو من البريق : أي لمع من شدَّة شخوصه[2] .

ولكن يضيف ابن منظور على هذا المعني فيقول : " ومن قرأ بَرَق يقول فتح عينيه من الفزع[3] " .

وأما بلق – باللام – عوض الراء : أي انفتح وانفرج ، يقال : بلق الباب وأبلقته وبلقته : فتحته ، هذا قول أهل اللغة إلا الفرَّاء فإنَّه يقول : بلقة وأبلقه : إذا أغلقه . وقال ثعلب : أخطأ الفراء في ذلك إنما هو بلق الباب وأبلقه : إذا فتحه[4] .

ومن هنا إذا فسِّر البرق هنا من البريق : أي لمع من شدَّة شخوصه ، وبلق بمعنى فتح عينيه فالمعنى إذًا مختلف ، فاللفظتان إذًا خارج حدود الإبدال .

وأما إذا فسِّر برق بمعنى فتح عينيه من الفزع فيلتقي إذًا مع بلق في المعنى ، والمعنى القرآني يحتمل هذا وذاك " لأنه يجوز أن تكون بلق غير مادة برق ، ويجوز أن تكون مادة واحدة أبدل فيها حرف من آخر ، وقد جاء إبدال اللام من الراء في أحرف قالوا : نَثر كنانته ونثلها [5] . وقالوا : وجل ووجر . فيمكن أن يكون هذا منه ، ويؤيِّده أن برق قد أتى بمعنى شَقَّ عينيه وفتحها قاله أبو عبيد وأنشد :

لَمَّا أتاني مِنْ عُمَيْر رَاعِيًا   أَعْطَيْتُه علمًا مهابًا يُبْرق

أي يفتح عينيه فهذا مناسب لبلق في المعنى[6] " .

---

(1) مفاتيح الغيب 31 / 23 . وينظر : الكشاف 4 / 660 .

(2) الكشاف 4 / 660 . وينظر : معاني القرآن وإعرابه للزجاج 5 / 252 ، والصحاح 4 / 1449 ، ومفاتيح الغيب 31 / 23 ، والدر المصون 6 / 427 .

(3) لسان العرب (ب ر ق) 1 / 262 .

(4) البحر المحيط 10 / 0346 وينظر : الكشاف 4 /660 ، والصحاح (ب ل ق) 4 / 1451 ، ومفاتيح الغيب 31 / 23 ، ولسان العرب (ب ل ق) 1 /347 ، والدر المصون 6 /427 .

(5) النَّثْرَة : الدِّرع الواسعة , قال ابن السكيت : يقال للدِّرع نَثْرَة ونَثْلَه , قال : ويقال : نَثَرَ درعه عنه ,إذا ألقاها عنه , ولا يقال نَثَلَهَا . الصحاح (ن ث ر) 2 / 822 ، 823 . وينظر : (ن ث ل) 5 / 1825 .

(6) الدر المصون 6 / 427 .

وتحقيقًا لمبدأ الإبدال في هاتين اللفظتين يقول أبو حيَّان : " ويمكن أن تكون اللام بدلا من الرَّاء ، فهما يتعاقبان في بعض الكلام ، نحو قولهم : نثره ونثله ، ووجر ووجل[1] " .

(ب) (فرق ، فلق) :

يقول الجوهري : " والفِرْق : الفِلْق من الشَّيء إذا انفلق ، ومنه قوله تعالى : ﴿... فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرۡقٖ كَٱلطَّوۡدِ ٱلۡعَظِيمِ﴾[2] , وفَلَقْتُ الشيء فَلْقًا : شقَّقته ... يقال : فَلَقْتُهُ فانْفَلَقَ وتَفَلَّقَ[3] " .

فالفِرْق والفِلْق بمعنى واحد يؤكِّد ذلك الزَّمخشري بقوله :

" الفرق : الجزء المتفرق منه , وقرئ : كل فلق , والمعنى واحد[4] " .

(8) الإبدال بين الصَّاد والسِّين

(أ) (الصراط ، السراط)

قال تعالى :﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ﴾الفاتحة (6) .

قال تعالى : ﴿ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ ...﴾ الفاتحة (7) .

قال تعالى : ﴿ وَأَنِ ٱعۡبُدُونِيۚ هَٰذَا صِرَٰطٞ مُّسۡتَقِيمٞ ﴾يس (61).

القراءة بالصَّاد : الجمهور .

القراءة بالسِّين : قنبل ورويس وافقهما ابن محيصن في آيتي الفاتحة ، والشنبوذي فيما تجرَّد عن اللام[5] .

---

(1) البحر المحيط 10 / 346 .

(2) الصحاح (ف ر ق) 4 / 1542 . وينظر : لسان العرب 5 / 3398 .

(3) الصحاح (ف ل ق) 4 / 1544 . وينظر : لسان العرب 5 / 3462 .

(4) الكشاف 3 /316 . وينظر : مفاتيح الغيب 23 / 129 ، والبحر المحيط 8 / 161 , وقد نصَّت كتب اللغة على صورة التَّعاقب بين الرَّاء واللام . ينظر : الإبدال لابن السكيت صـ 115 : 117 ، والإبدال لأبي الطَّيب 2 / 56 : 81 .

(5) ينظر : السبعة في القراءات لابن مجاهد . تحقيق د. شوقي ضيف . صـ 105 ، 106 – دار المعارف – الطبعة الثالثة 1400 هـ , والحجة للقراء السبعة لأبي على الفارسي . حقَّقه . بدر الدين قهوجي ، وبشير جويجاتي 1/ 49 ، دار المأمون للتراث – الطبعة الثانية 1413 هـ – 1993 م ، ومعاني القراءات للأزهري . تحقيق د. عيد مصطفى درويش ود. عوض بن حمد القوزي 1/ 110 – الطبعة الأولى 1412 هـ – 1991 م ، وحجة القراءات لأبي زرعة . تحقيق . سعيد الأفغاني صـ 80 – مؤسسة الرسالة –الطبعة الثانية 1399 هـ – 1979 م ، والتيسير في القراءات السبع لأبي عمرو الداني صـ 27 – دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان – 1405 هـ – 1984 م ، والعنوان في القراءات السبع=

العلاقة الصَّوتيَّة : التَّجانس .

(ب) (الوسطى ، الوصطى)

قال تعالى :﴿ حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ ... ﴾ البقرة (238) .

القراءة بالسِّين : الجمهور .

القراءة بالصَّاد : قالون عن نافع(1) .

(جـ) (يبسط ، يبصط) ، (بسطة ، بصطة)

قال تعالى : ﴿ وَٱللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُۜطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾البقرة (245).

قال تعالى :﴿ وَزَادَهُۥ بَسْطَةً فِى ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِ ...﴾ البقرة (247) .

قال تعالى :﴿ وَزَادَكُمْ فِى ٱلْخَلْقِ بَصْۜطَةً ... ﴾ الأعراف (69) .

القراءة بالسِّين في (يبسط) : ابن كثير ونافع وعاصم وأبو عمرو وحمزة وخلاد وحفص بخلاف عنه وهشام وقنبل والنقاش عن الأخفش وأبو قرَّة عن نافع ويعقوب .

القراءة بالصَّاد : نافع والكسائي وحمزة وقالون والبزي وشعبة .

القراءة بالسِّين في (بسطة) في البقرة : أبو عمرو وابن كثير وحمزة .

القراءة بالصَّاد : نافع وابن كثير وابن عامر وعاصم والكسائيُّ والنقاش وقالون .

القراءة بالسِّين في الأعراف : أبو عمرو وحمزة .

القراءة بالصَّاد : نافع والكسائي وخلاد والبزي وابن ذكوان وشعبة(2) .

= لإسماعيل بن خلف الأنصاري .حقَّقه د . زهير زاهد ، ود0 خليل العطية صـ 67 –عالم الكتب – الطبعة الثانية 1406 هـ – 1986 م ، والكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها . مكي بن أبي طالب القيسي . تحقيق د. محيي الدين رمضان 1 /34 – مؤسسة الرسالة – الطبعة الرابعة 1407 هـ – 1987 م ، والمحرر الوجيز 1 / 79 ، وشواذ القراءة صـ16 ، والبحر المحيط 1 / 45 ، والدر المصون 1 /78 ، وإتحاف فضلاء البشر 1 / 365 ، 403 .

(1) ينظر : الكشاف 1 / 288 ، والجامع لأحكام القرآن 1 / 112 ، والبحر المحيط 2 / 47 ، وروح المعاني 2 / 157 .

(2) ينظر : السبعة صـ 185 ، 186 ، والحجة للقراء السبعة 2 /346 ، 347 ، ومعاني القراءات 1 /211 : 213 ، وحجة القراءات صـ 139 ، والتيسير صـ 69 ، والكشف 1/302 ، والعنوان صـ74 ، والإقناع في القراءات السبع لابن الباذش . حقَّقه . أحمد فريد المزيدي صـ 381 – دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان – الطبعة الأولى 1419 هـ – 1999 م ، وتلخيص العبارات بلطيف الإشارات في القراءات السبع لابن بليمة الهرازي . تحقيق . سبيع حمزة الحاكمي صـ 72 – دار القبلة للثقافة الإسلامية – جدة – مؤسسة علوم القرآن – بيروت – الطبعة الأولى 1409 هـ – 1988 م ، والبحر المحيط 2 / 567 ، 576 ، والدر المصون 1 / =

(د) (البسط ، البصط)

قال تعالى : ﴿ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ ... ﴾ الإسراء (29) .

القراءة بالسِّين : الجمهور .

القراءة بالصَّاد : قالون ورواه الأعشى عن أبي بكر[1] .

(هـ) (القسطاس ، القصطاس)

قال تعالى: ﴿ وَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا۟ بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ ... ﴾ الإسراء(35) .

قال تعالى :﴿ وَزِنُوا۟ بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ ﴾الشعراء (182) .

القراءة بالسِّين : حمزة والكسائي وخلف وحفص عن عاصم بالسِّين وكسر القاف وافقهم الأعمش ، وباقي السَّبعة بضم القاف .

القراءة بالصَّاد : شعبة عن عاصم[2] .

(و) (اسطا عوا – اصطا عوا)

قال تعالى : ﴿ فَمَا ٱسْطَٰعُوٓا۟ أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا ٱسْتَطَٰعُوا۟ لَهُۥ نَقْبًا ﴾الكهف (97) .

القراءة بالسِّين : الجمهور .

القراءة بالصَّاد : الأعشى عن أبي بكر[3] .

= 596 ، والنشر 2 / 228 : 230 ، وغيث النفع في القراءات السبع للصفاقسي صـ 59 – دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان – الطبعة الأولى 1419 هـ – 1999 م،وإتحاف فضلاء البشر 1 / 443 : 445 0

(1) ينظر : المحرر الوجيز 10 / 282 ، والبحر المحيط 7 /42 0

(2) ينظر : السبعة صـ380 ، وحجة القراءات صـ 402 ، والتيسير صـ114 ، والكشف 2 / 46 ، وشواذ القراءة صـ 137 ، ومفاتيح الغيب 19 / 85 ، والجامع لأحكام القرآن 5 / 3985 ، والبحر المحيط 7 / 46 ، والدر المصون 4 / 389 ، وأنوار التنزيل وأسرار التأويل (تفسير البيضاوي) تحقيق د. حمزة النشرتي وآخرين 2 / 303 – 1418 هـ ، والفتوحات الإلهية لسليمان عمر العجيلي الشهير بالجمل 2 / 625 – مطبعة الحلبي – د. ت ، والنشر 2 / 307 ، وإتحاف فضلاء البشر 2 / 197 ، 320 .

(3) ينظر : البحر المحيط 7 / 228 ، والدر المصون 4 / 0483 وبدون نسبة في الكشاف 2 / 748 ، ومفاتيح الغيب 20 / 389 .

(ز) (القسط ، القصط)

قال تعالى :﴿ وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾ الأنبياء (47) .

القراءة بالسِّين : الجمهور

القراءة بالصَّاد : قرأت فرقة بها[1] .

(ح) (أسبغ ، أصبغ)

قال تعالى : ﴿ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً ﴾ لقمان (20) .

القراءة بالسِّين : الجمهور .

القراءة بالصَّاد : عبد الله بن عباس ويحيي بن عمارة[2] .

(ط) (سابغات ، صابغات)

قال تعالى : ﴿ أَنِ ٱعْمَلْ سَٰبِغَٰتٍ وَقَدِّرْ فِى ٱلسَّرْدِ ﴾ سبأ (11) .

القراءة بالسِّين : الجمهور .

القراءة بالصَّاد : زيد بن علي[3] .

(ي) (سلقوكم ، صلقوكم)

قال تعالى : ﴿ فَإِذَا ذَهَبَ ٱلْخَوْفُ سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ ﴾ الأحزاب (19) .

القراءة بالسِّين : الجمهور .

القراءة بالصَّاد : ابن أبي عبلة[4] .

(ك) (سقفًا ، صقفًا)

قال تعالى : ﴿ فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًۢا بِٱلْيَمِينِ ﴾ الصافات (93).

---

(1) ينظر : المحرر الوجيز 140/11 ، والجامع لأحكام القرآن 4471/6 ، والبحر المحيط 7 /435 ، والدر المصون 5 / 89 .

(2) ينظر : المحتسب 2 / 168 ، وشواذ القراءة صـ 191 ، والجامع لأحكام القرآن 7 / 5330 , والبحر المحيط 8 / 418 ، والدر المصون 5 /390 .

(3) شواذ القراءة صـ196 ، 197 . وبدون نسبة في الكشاف 3 / 571 ، والبحر المحيط 8 / 526 .

(4) ينظر : شواذ القراءة صـ 193 ، والمحرر الوجيز 13 / 59 ، والبحر المحيط 8 / 464 . وبدون نسبة في الكشاف 3 /530 ، والجامع لأحكام القرآن 7 / 5413 .

القراءة بالسِّين : الحسن .

القراءة بالصَّاد : عبد الله بن مسعود وعن الحسن أيضًا[1] .

(ل) (باسقات ، باصقات)

قال تعالى : ﴿ وَٱلنَّخۡلَ بَاسِقَٰتٖ لَّهَا طَلۡعٞ نَّضِيدٞ ﴾ ق (10) .

القراءة بالصَّاد : الجمهور .

القراءة بالسَّين : قطبة بن مالك عن النبي (ﷺ)[2] .

(م) (المصيطرون ، المسيطرون)

قال تعالى : ﴿ أَمۡ عِندَهُمۡ خَزَآئِنُ رَبِّكَ أَمۡ هُمُ ٱلۡمُصَيۡطِرُونَ ﴾الطور (37) .

القراءة بالصَّاد : الجمهور .

القراءة بالسَّين : قنبل وهشام وحفص بخلاف عنه وابن محيصن وحميد ومجاهد وأبو حيوة[3] .

(ن) (بمصيطر , بمسيطر)

قال تعالى : ﴿ لَّسۡتَ عَلَيۡهِم بِمُصَيۡطِرٍ ﴾الغاشية (22) .

القراءة بالصَّاد : الجمهور .

القراءة بالسِّين : هشام[4] .

الشَّرح والتَّحليل

إن حالة الإبدال هنا قد وقعت بين صوتي السِّين والصَّاد وهما مع صوت الزَّاي من الأصوات التي تخرج مما بين طرف اللسان وفُوَيْق الثَّنايا[5] .

---

(1) ينظر :معاني القرآن للفراء 2 / 388 ، والمحتسب 2 / 221 . وبدون نسبة في الكشاف 4 /50.

(2) ينظر : المحتسب 2 / 282 ، وشواذ القراءة صـ 228 ، والبحر المحيط 9 / 531 ، والدر المصون 6 / 176 .

(3) ينظر : السبعة صـ 613 ، والحجة للقراء السبعة 6 / 228 ، وحجة القراءات صـ 684 ، والتيسير صـ 165 ، والكشف 2 / 292 ، والعنوان صـ 181 ، والجامع لأحكام القرآن 9 / 6476 ، والبحر المحيط 575/9 ، والدر المصون 6 / 201 .

(4) ينظر : السبعة صـ 682 ، والحجة للقراء السبعة 6 / 400 ، 401 ، والتيسير صـ 180 ، والكشف 1 / 372 ، والعنوان صـ 208 ، والبحر المحيط 10 / 465 ،والدر المصون 6 / 514. وبدون نسبة في المحرر الوجيز 16 / 291 .

(5) الكتاب 4 / 433 . وينظر : المقتضب 1 / 329 ، وسر صناعة الإعراب 1 / 53 .

فعند النطق بصوت السِّين يندفع الهواء مارًّا بالحنجرة فلا يحرك الوترين الصوتيين ، ثم يأخذ مجراه في الحلق والفم حتى يصل إلى المخرج وهو عند التقاء طرف اللسان بالثَّنايا السُّفلى أو العليا بحيث يكون بين اللسان والثنايا مجرى ضيق جدًّا يندفع خلاله الهواء فيحدث ذلك الصَّفير العالي . هذا إلى اقتراب الأسنان العليا من السُّفلى في حالة النُّطق بهذا الصَّوت .

وعند النُّطق بصوت الصَّاد : يتخذ اللسان وضعًا مخالفًا لوضعه مع السِّين ، إذ يكون مقعرًا منطبقًا على الحنك الأعلى ، مع تصعد أقصى اللسان وطرفه نحو الحنك ومع رجوع اللسان إلى الوراء قليلا ككل الأصوات المطبقة(1) .

إذًا فالاشتراك في العلاقة المخرجيَّة واضح بينهما ، إضافة إلى الاشتراك في بعض الصِّفات الصَّوتيَّة وهي : الهمس والرَّخاوة والإصمات والصَّفير(2) ، مما كان لهذا الاشتراك أثره الواضح في جواز وقوع الإبدال بينهما .

وقد جمعت القراءات القرآنيَّة أربع عشرة لفظة تعاقب فيها صوت الصَّاد مع صوت السِّين عند التقائهما ببعض حروف الاستعلاء وهي (الطَّاء والغين والقاف) كان نصيب الطَّاء منها تسع ألفاظ وهي (الصِّراط , والوسطى ، ويبسط ، والبسط ، والقسطاس ، والقسط ، واسطاعوا , والمصيطرون ، وبمصيطر) , ثم مع صوت الغين من خلال لفظتي (أسبغ وسابغات) ، ثم مع صوت القاف من خلال ثلاثة ألفاظ وهي :(سلقوكم ، وباسقات ، وسقفًا) ولكلٍّ حجته في القراءة بالصَّاد والسِّين .

فحجة من قرأ بالصَّاد مع الطَّاء : أن السِّين حرف مستفل ، غير مطبق ، فلمّا وقعت بعده الطَّاء ، وهي مطبقة مستعلية ، صعُب أن يخرج اللافظ من تَسفُّل إلى تَصعُّد ، وذلك صعب ... فأبدل منها حرف يؤاخي السِّين في المخرج والصَّفير ، ويؤاخي الطَّاء في الإطباق والاستعلاء ، وهو الصَّاد ، فكأنَّ السِّين التي هي الأصل لم تزل ، إذ قد خلفها حرف من

---

(1) الأصوات اللغوية د. إبراهيم أنيس صـ 76 . وينظر : علم اللغة د. محمود السعران صـ 175 , وأصوات اللغة د . عبد الرحمن أيوب صـ 204 , وعلم اللغة العام (القسم الثاني " الأصوات ") د. كمال محمد بشر صـ 119 ، 120 .

(2) وهو صوت زائد ضعيف يخرج من بين الشفتين , ويصحب حروفه الثلاثة عند خروجها وهي : ص , س , ز . الاشتقاق . عبد الله أمين صـ 344 . وينظر : الرعاية صـ 100 , وغاية المريد صـ 144 .

مخرجها ، ومن صِنفها في الصَّفير ، فعمل اللسان بذلك عملا واحدًا ، مُتصعدًا منطبقًا بالحرفين معًا [1] .

وأما علَّة النطق بالصَّاد مع الغين كما يقول ابن جنِّي : " أصله السِّين ، إلا أنها أُبدلت للغين بعدها صادًا كما قالوا في سَالِغ : صَالِغ [2] ، وفي سالخ , صالخ ، وفي سقر : صقر ، وفي السَّقْر : الصَّقْر ، وذلك أن حروف الاستعلاء تجتذب السِّين عن سَفالِهَا إلى تعاليهن ، والصَّاد مستعليـة ، وهي أخت السِّين في المخـرج , وأخرى حروف الاستعلاء[3] " .

وأما علَّة النُّطق بالصَّاد مع القاف كما يقول سيبويه : " هذا باب ما تُقلب فيه السين صادًا في بعض اللغات تَقلبُها القاف إذا كانت بعدها في كلمة واحدة ، وذلك نحو : صُقْتُ ، وصَبَقْتُ , وذلك أنها من أقصى اللسان ، فلم تَنحدر انحدارَ الكاف إلى الفمِّ ، وتصَعَّدت إلى ما فوقَها من الحنك الأعلى ... فلما كانت كذلك أبدلوا من موضع السِّين أشبهَ الحروف بالقاف ، ليكون العمل من وجه واحد ، وهي الصَّاد ، لأن الصَّاد تَصَعَّدُ إلى الحنك الأعلى للإطباق[4] " .

ويقول ابن جنِّي عن هذا الأمر : " الأصل السِّين ، وإنما الصَّاد بدل منها ، لاستعلاء القاف ، فأبدلت السِّين صادًا لتقرب من القاف ، لما في الصَّاد من الاستعلاء ، ونحوه قولهم في سَقَر : صَقَر ، وفي السَّقْر : الصَّقر[5] " .

---

(1) الكشف 302/1 ، 303 . وينظر : الكتاب 4 / 479 ، والحجة في القراءات السبع لابن خالويه . تحقيق د. عبد العال سالم مكرم صـ 62 – مؤسسة الرسالة – الطبعة الخامسة 1410 هـ –1990م , والحجة للقراء السبعة 2 / 347 ، وسر صناعة الإعراب 1 / 220 ، وحجة القراءات صـ 139 , والكشاف 3 / 498 , والمحرر الوجيز 13 / 20 ، والممتع في التصريف لابن عصفور . تحقيق د. فخر الدين قباوة 1/ 411 – الدار العربية للكتاب – الطبعة الخامسة 1403 هـ – 1983 م ، وشرح الرضى على شافية ابن الحاجب 3 / 230 ، ولسان العرب (س ر ط) 3 / 1993 ، و(ص و ق) 4 / 2528 ، والمزهر 1 / 469 .

(2) سَلَغت البقرة والشاة تسلَغ سُلُوغًا : إذا أسقطت السِنَّ التي خلف السَّدِيس , وصَلَغَتْ فهي سالِغ وصالغ .وكذلك الأنثى بغير الهاء , وذلك في السَّنة السَّادسة . الصحاح (س ل غ) 4 / 1321 . وينظر : لسان العرب 2067/3 .

(3) المحتسب 2 / 168 .

(4) الكتاب 4 / 480 .

(5) المحتسب 2/ 283 . وينظر : المحرر الوجيز 15 / 165 .

وأما حجَّة من قرأ بالسِّين مع هذه الحروف : أنَّه الأصل ، والدليل على أن السِّين هي الأصل أنَّه لابد أن تكون السِّين هي الأصل أو الصَّاد هي الأصل ، فلو كانت الصَّاد هي الأصل ما جاز أن تُردَّ إلى السِّين ، إذ لا علة توجب ذلك ، وإذ لا ينقل الحرف إلى أضعف منه ، والصَّاد أقوى بكثير لإطباقها واستعلائها ، فإذا لم يجز أن تُردَّ الصَّاد إلى السِّين ، وجاز ردُّ السِّين إلى الصَّاد ، عُلِم أن السِّين هي الأصل ، والصَّاد داخلة عليها لعلَّة[1] .

ويعلِّق الدُّكتور / رمضان عبد التواب على صورة هذا التَّعاقب بقوله : " الأصل أجود من الصُّورة التي نتجت بفعل قانون المماثلة ، وذلك كقلب الصَّاد سينًا ، بسبب المماثلة بينها وبين الحروف المستعلية[2] " .

وفي كتاب الفرق بين الأحرف الخمسة يذكر البطليوسي أن تحقيق التَّعاقب بين السِّين والصَّاد مع حروف الاستعلاء لابد له من عدَّة شروط ، وإذا لم تتوافر هذه الشروط أصبح هذا الأمر موقوفًا على السَّماع فيقول : " وشرط هذا الباب أن تكون السِّين متقدِّمة على هذه الحروف لا متأخِّرة بعدها ، وأن تكون هذه الحروف مقاربة لها لا متباعدة عنها ، وأن تكون السِّين هي الأصل ، فإن كانت الصَّاد هي الأصل لم يَجُزْ قلبُها سينًا ، لأن الأضعف يُقْلَب إلى الأقوى ، ولا يقلب الأقوى إلى الأضعف ، وإنَّما قلبوها صادًا مع هذه الحروف ، لأنها حروف مستعلية ، والسِّين حرف مُتَسَفِّل ؛ فثَقُل عليهم الاستعلاء بعد التَّسفل ؛ لما فيه من الكُلْفة ؛ فإذا تقدَّم حرف الاستعلاء لم يُكْرَه وقوع السِّين بعدَه ، لأنَّه كالانحِدَار من العلوِّ ، وذلك خفيف لا كُلْفَة فيه . فهذا هو الذي يجوز القياس عليه ، وما عداه موقوف على السَّماع[3] " .

ويرى بعض العلماء أن إبدال السِّين صادًا في حالة الاتِّصال ، أما في حالة الانفصال فيجوز القلب وتركه أجود ؛ وذلك لأنَّها الأصل ، حيث يقول المبرد : " هذا باب ما تقلب فيه

---

(1) الكشف 1 / 302 ، 303 . وينظر : الكتاب 4 / 479 ، والحجة في القراءات السبع صـ 62 ، والحجة للقراء السبعة 2/347 ، والمحتسب 2/168 ، 282 ، 283، وسر صناعة الإعراب 1/ 220 ، وحجة القراءات صـ 139 ، والكشاف 3 / 498 ، والممتع 1 / 411 ، وشرح الرضى على شافية ابن الحاجب 3 /230 ، ولسان العرب (س ر ط) 3 / 1993 ، و(ص و ق) 4 / 2528 ، والمزهر 1 / 469 .
(2) التطور اللغوي مظاهره وعلله وقوانينه د. رمضان عبد التواب صـ 54 – مكتبة الخانجي بالقاهرة – 1417 هـ – 1997 م .
(3) نقلا من المزهر 1/ 469 ، 470 .

السِّين صادًا وتركها على لفظها أجود ؛ وذلك لأنَّها الأصل ، وإنَّما تقلب للتقريب ممَّا بعدها ، فإذا لقيها حرف من الحروف المستعلية قلبت معه ليكون تناولها من وجه واحد ... فإذا كانت السِّين مع حرف من هذه الحروف في كلمة جاز قلبها صادًا وكلَّما قرب منها كان أوجب . ويجوز القلب على التَّراخي بينهما ، وكلَّما تراخى فترك القلب أجود . وذلك قولك : سطر ، وصطر ، وسقَر ، وصقَر[1] " .

وفي تلك الكلمات التي يجمعها أحد حروف الاستعلاء مع صوتي السِّين والصَّاد مالت بعض اللهجات العربية إلى النُّطق بالصَّاد في حين مالت قبائل أخرى إلى النُّطق بالسِّين ، وقد تكفَّلت كتب التُّراث بإيضاح هذا الأمر .

أولا : نسبة النُّطق بالصَّاد

من خلال استعراض بعض النصوص اللغويَّة تأكَّد لنا أن القبائل التي تميل إلى النُّطق بالصَّاد مع حروف الاستعلاء هي :-

(أ) قبيلة بني العنبر

- ورد في كتاب الإبدال لابن السِّكيت : " وبنو العنبر يقولون : الصَّوق والصَّاق يعنون : السَّوق والسَّاق[2] " .

- من خلال عدَّة مواد في لسان العرب وردت هذه النسبة أيضًا ، ففي مادة (س ر ط) : " قال الفرَّاء : ونفر من بلعنبر يُصَيِّرُون السِّين ، إذا كانت مُقَدَّمة ، ثم جاءت بعدها طاء أوقاف أو غين أو خاء ، صادًا ، وذلك أن الطَّاء حرف تضع فيه لسانك في حنكك فينطبق به الصَّوت ، فقلبت السِّين صادًا ، صُورَتُها صورة الطَّاء ، واستخَفُّوها ، ليكون المخرج واحدًا ، كما استخفُّوا الإدغام ، فمن ذلك قولهم : الصِّراط والسِّراط ، قال : وهي بالصَّاد لغة قريش الأولين التي جاء بها الكتاب . قال : وعامَّة العرب تجعلها سينًا[3] " .

وورد في مادَّة (ص د غ) : " قال محمد بن المستنير قُطْرب : إنَّ قومًا من بني تميم يقال لهم بلعنبر يقلبون السِّين صادًا عند أربعة أحرف : عند الطَّاء والقاف والغين والخاء إذا كُنَّ

(1) المقتضب 1/ 360 .
(2) الإبدال صـ 42 . وينظر : الكتاب 4 / 480 .
(3) لسان العرب 3 / 1993 .

بعد السِّين ،ولا يبالون أثانية كُنَّ أم ثالثة أم رابعة بعد أن يكن بعدها ، يقولون : سراط وصراط ، وبسطة وبصطة ، وسيقل وصيقل ، وسَرَقت وصرقت ، ومسغبة ومصغبة ، ومِسْدَغة ومِصْدَغة ، وسخَّر لكم وصَخَّر ، والسَّخَبُ والصَّخَبُ[1] " .

وورد أيضًا في مادة (ص و ق) : " الصَّاق : لغة في السَّاق ، عنبرية[2] " .

– ذكر صاحب المصباح في مادة (س ع ت ر) أن " السَّعتر : نبات معروف وتبدل السِّين صادًا في لغة بلعنبر فيقال : صعتر ، وبعضهم يقتصر على الصَّاد[3] " .

– ورد في البحر المحيط عند لفظة (باسقات) : " وروى قطبة بن مالك عن النبي – صلى الله عليه وسلم – أنه قرأ : " باصقات " – بالصاد – ، وهي لغة لبني العنبر يبدلون من السِّين صادًا إذا وليتها أو فصل بحرف أو حرفين خاء أو غين أو قاف أو طاء[4] " .

– عند تعليق الألوسي على لفظة (باسقات) صرح بأن النُّطق بالصَّاد " لغة لبني العنبر يبدلون من السين صادًا إذا وليتها أو فصل بحرف أو حرفين خاء معجمة أو عين مهملة أو طاء كذلك أو قاف[5] " .

(ب) قبيلة بني سليم وهوازن وأهل العالية وهذيل

– ورد في لسان العرب : " هذا صَوْغُ هذا : أي على قَدْرِه , وغلامان صَوْغان : على لِدَةٍ واحدة , وهما صَوْغان : أي سِيَّان , قال ابن بُزُرْجَ : هو سَوْغُ أخيه : طِريده ولِدَ في إثْرِه , قال الفراء : بنو سُليم وهوازن وأهل العالية وهذيل يقولون : هو أُخوه صَوْغُهُ ، بالصَّاد ، قال : وأكثر الكلام بالسين سَوْغه[6] " .

(جـ) قبيلة تميم

– ورد في لسان العرب وفي مادة (ص م خ) : " الصِّماخُ من الأُذُن : الخَرْق الباطن الذي يُفْضِي إلى الرأس ، تميميَّة ، والسِّماخ لغة فيه . ويقال : إن الصِّماخ هو الأُذُن نفسها[7] " .

(1) السابق 4 / 2416 .
(2) السابق 4 / 2528 .
(3) المصباح المنير صـ 105 .
(4) البحر المحيط 9 / 531 .
(5) روح المعاني 26 / 176 .
(6) لسان العرب (ص و غ) 4 / 2527 .
(7) السابق (ص م خ) 4 / 2495 .

– في مادة (ل ص ق) ذكر أن " لَصِقَ به يَلْصَق لُصُوقًا ، وهي لغة تميم ، وقيس تقـول : لسق بالسِّين , واللَّصوق : دواء يُلْصَق بالجُرْح[1] " .

(د) قبيلة قريش

ورد في البحر المحيط أن " الصِّراط : الطَّريق ، وأصله بالسِّين من السَّرط وهو اللقم ... وبالسِّين على الأصل قرأ قنبل ورويس ، وإبدال سينه صادًا هي الفصحى ، وهي لغة قريش , وبها قرأ الجمهور[2] " .

(هـ) قبيلة بني كلب

ذكر أبو حيان عند تعليقه على لفظه (أسبغ) أن إبدال السِّين صادًا لغة لقبيلة بني كلب ، حيث يقول : " وقرأ ابن عباس ، ويحيى بن عمارة : وأصبغ – بالصَّاد – ، وهي لغة لبني كلب ، يبدلونها من السِّين ، إذا جامعت الغين أو الخاء أو القاف صادًا[3] " .

ثانيًا : نسبة النطق بالسين

ورد في لسان العرب ومن خلال مادة (ل ص ق) أن " قيس تقول : لسق بالسِّين[4] ".

إذاً ومن خلال تلك النُّصوص السَّابقة تأكَّد لدينا بما لا يدع مجالا للشَّك أن القبائل التي مالت إلى النُّطق بالصَّاد مع حروف الاستعلاء هي قبيلة بني العنبر وبنو سليم وهوازن وأهل العالية وهذيل وتميم وأخيرًا قبيلة قريش وبني كلب ، في حين اقتصر النُّطق بالسِّين على قبيلة قيس فقط .

(9) الإبدال بين السِّين والزَّاي (الرِّجس ، الرِّجز)

قال تعالى :﴿ وَيَجْعَلُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ يونس (100) .

القراءة بالسِّين : الجمهور .

القراءة بالزَّاي : الأعمش[5] .

---

(1) السابق 5 / 4032 .

(2) البحر المحيط 1 / 45 .

(3) السابق 8 / 418 . وينظر : الدر المصون 5 / 390 .

(4) لسان العرب 5 / 4032 .

(5) ينظر : البحر المحيط 6 / 109 ، والدر المصون 4 / 70 . وبدون نسبة في الكشاف 2 / 273.

العلاقة الصَّوتية : التَّجانس .

الشَّرح والتَّحليل

يُعَدُّ صوتا السين والزاى من الأصوات التي يجمع بينهما مخرج واحد ، فكلاهما مما بين طرف اللسان وفُوَيْق الثَّنايا[1] .

فعند النُّطق بصوت الزَّاى يندفع الهواء من الرِّئتين مارًّا بالحنجرة فيحرك الوترين الصَّوتيين ، ثم يتخذ مجراه من الحلق والفم حتى يصل إلى المخرج وهو التقاء أول اللسان (مشتركًا مع طرفه عند بعض الأفراد) بالثَّنايا السُّفلى أو العليا[2] .

وإضافة إلى هذه العلاقة المخرجيَّة التي تجمع بين صوتي السِّين والزَّاى فقد اشتركا في كثير من الصِّفات الصَّوتية وهي : الرَّخاوة والانفتاح والاستفال والإصمات والصَّفير[3] .

ومن هنا فإنَّ وجود تلك العلاقة الصَّوتيَّة بينهما كان عاملا رئيسًا في جواز وقوع الإبدال بينهما.

وقد تمَّ التبادل بينهما في كثير من كلمات اللغة ، حيث ورد في كتاب الإبدال لابن السِّكيت ما يؤكِّد ذلك : " يقال : مكان شَأْس وشَأْز ، وهو الغليظ . ويقال : نَزغَه ، ونَسغَهُ ونَدغَه : وذلك إذا طعنه بيد أو رمح ... والشَّازِبُ والشَّاسِبُ : الضَّامِرُ ... وأزْعَلَتْه وأسْعَلَتْهُ والمعنى واحد : أي أنشطته ، والزَّعل : النَّشاط , ويقال : قد تَسلَعَ جلْدُه وتَزلَّعَ جلْدُه : أي تَشقَّق[4] " .

وأما عن القراءات القرآنيَّة وصورة الإبدال الواقع فيها بين صوتي السِّين والزَّاى فلم تتحقَّق إلا من خلال لفظة (الرِّجس) والتي تناوب صوت الزَّاى فيها مع صوت السِّين كما ثبت في قراءة الأعمش السَّابقة .

وقد حاول بعض العلماء أن يُفَرِّق بين لفظتي الرِّجس – بالسِّين – والرِّجس – بالزَّاى – حتى يخرج اللفظتين من دائرة الإبدال ، فجعل ابن دريد الرِّجس بمعنى : الشَّر ، والرِّجز

(1) ينظر : الكتاب 4 / 433 ، والمقتضب 1 / 329 ، وسر صناعة الإعراب 1 / 53 .

(2) الأصوات اللغوية د. إبراهيم أنيس صـ 76 . وينظر : علم اللغة د. محمود السعران صـ 175 ، وعلم اللغة العام (القسم الثاني " الأصوات ") د0 كمال محمد بشر صـ 120 .

(3) ولم يختلف الصوتان إلا في أنَّ الزَّاى صوت مجهور ، والسِّين نظيره المهموس . ينظر : كتاب سيبويه 434/4 ، وسر صناعة الإعراب 61/1 ، 62، والأصوات اللغوية د.إبراهيم أنيس صـ 77.

(4) الإبدال صـ 131 ، 132 . وينظر : الإبدال لأبي الطيب اللغوي 2/ 107 : 111. وقد ذكر السُّيوطي شيئًا من هذا الإبدال . ينظر : المزهر 1 / 470 .

بمعنى العذاب[1] ، وكذلك ذكر الطَّبرسي عند تعليقه على قوله تعالى : ﴿ فَأَنزَلْنَا عَلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ ﴾ البقرة 59 , أن الرِّجز – بكسر الرَّاء – بمعنى العذاب في لغة أهل الحجاز ، وهو غير الرِّجس ؛ لأن الرِّجس النَّتن[2] .

ولكن الواضح أنهما لغتان لمعنى واحد ، حيث يقول الفرَّاء : " الرِّجس : العذاب والغضب وهو مضارع لقوله الرِّجز ، ولعلهما لغتان ، بدِّلت السِّين زايًا كما قيل الأسد والأزد[3] " .

ويؤكِّد هذا المعنى أبو عبيدة عندما نصَّ على أنَّ الرِّجس والرِّجز لغتان مثل البزاق والبساق[4] , والزرع والسرع[5] .

وأخيرًا يذكر السُّيوطي أنَّ " الرِّجس : العذاب ، والرِّجز ، أبدلت السِّين زايًا كما قيل للأسد الأزد[6]" .

(10) الإبدال بين السِّين والتَّاء (النَّاس ، النَّات)

قال تعالى : ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ﴾ الناس (1) .

القراءة بالسِّين : الجمهور .

القراءة بالتَّاء : بعض الأعراب[7] .

العلاقة الصَّوتية : التَّقارب .

الشَّرح والتَّحليل

ذكر علماء العربيَّة كما سبق أن صوت السِّين يخرج مما بين طرف اللسان وفُوَيْق الثَّنايا ، وأما صوت التَّاء فيخرج مما بين طرف اللسان وأصول الثَّنايا[8] .

---

(1) ينظر : الدر المصون 2 / 604 .
(2) ينظر : مجمع البيان 1 /265 .
(3) معاني القرآن 480/1 . وينظر : معاني القرآن وإعرابه للزجاج 3 /36 ، والصحاح (ر ج س) 933/3 ، ولسان العرب 3 /1590 ، والمزهر 473/1 .
(4) البُساق والبُزاق : ماء الفم إذا خرج منه . القاموس المحيط للفيروزابادي (ب ص ق) 3/ 207 – الهيئة المصرية العامة للكتاب – 1400 هـ – 1980 م .
(5) ينظر : مجمع البيان 1/ 265 .
(6) المزهر 1/ 473 .
(7) الإبدال لأبي الطيب اللغوي 1/ 118 . وينظر : مختصر في شواذ القرآن صـ184.
(8) الكتاب 4 / 433 . وينظر : المقتضب 1/ 329 ، وسر صناعة الإعراب 53/1 .

فعند النُّطق بها يوقف مجرى الهواء وقفًا تامًّا ، وذلك بأن يلتقي طرف اللسان بأصول الثَّنايا العليا ، ويرفع الحنك الأعلى فلا يمر الهواء إلى الأنف ؛ يضغط الهواء مدة من الزمن ثم ينفصل العضوان انفصالا فجائيًّا محدثًا صوتًا انفجاريًّا[1] .

ومن هنا يبدو وجود التَّقارب المخرجي بين صوتي السِّين والتَّاء ، إضافة إلى الاشتراك في كثير من الصفات الصَّوتية وهي : الهمس والانفتاح والاستفال والتَّرقيق والإصمات[2] ، مما كان لهذه العلاقة الصَّوتية أثرها الواضح في جواز وقوع الإبدال بينهما .

ويؤكِّد ابن جنِّي على تلك العلاقة بقوله " فأبدلت السِّين تاء لموافقتها إيَّاها في الهمس والزِّيادة وتجاور المخرج[3] " .

وهو نفس المضمون الذي فصَّله الدُّكتور / إبراهيم أنيس عندما ذكر أن " المبرر الصَّوتي لانقلاب السِّين " تاء " فهو هيِّن واضح ؛ لأنهما يكادان يكونان متماثلين في المخرج ، كما أنَّ كلا منهما صوت مهموس ، ولم يبق إذن إلا أن يلتقي طرف اللسان بأصول الثَّنايا العليا التقاء محكمًا به ينحبس النَّفس حتى إذا انفصلا انفصالا محكمًا سمع ذلك الصَّوت الانفجاري الذي نسميه بالتَّاء ، في حين أنه في حالة النطق بالسِّين نلحظ أن انحباس النفس لا يكون محكمًا ، بل هناك فراغ ضيق بين طرف اللسان وأصول الثَّنايا العليا ليتسرب منه الهواء[4] " .

والتعاقب بين السِّين والتَّاء من الصور التي حفلت بها كتب الإبدال ، حيث ورد في كتاب الإبدال لابن السِّكيت : " عن الأصمعي ويقال : الكرَمُ من سُوسه ، ومن تُوسه : أي من خَليقَته ، ويقال : رجل حَفَيْتأ وحَفَيْسأ : إذا كان ضخم البطن إلى القِصَر ما هو ، وأنشد الفرَّاء :-

يا قَبَّحَ الله بنى السِّعْلات

---

(1) علم اللغة د. محمود السعران صـ 154 ، 155 . وينظر : الأصوات اللغوية د. إبراهيم أنيس صـ 61 ، وعلم اللغة العام (القسم الثاني " الأصوات ") د. كمال محمد بشر صـ 101 .

(2) ولم يختلف الصوتان إلا في الشِّدَّة والرَّخاوة ، فالسِّين صوت رخو ، والتَّاء صوت شديد . ينظر : الكتاب 4 / 434 ، 435 ، وسر صناعة الإعراب 1/ 69 .

(3) سر صناعة الإعراب 1 / 172 . وينظر : شرح المفصل 10/ 41 .

(4) في اللهجات العربية صـ 105 .

عمرو بن يَربوعٍ شرارُ النَّاتِ
غَيْرَ أعفَّاءَ ولا أكْياتِ

يريد بالنَّات : النَّاس ، وبالأكيات : الأكياس[1] " .

وفي كتاب الإبدال لأبي الطَّيب : " ويقال : تركتُه يَتوقُ بنفسه ، ويسوق بنفسه : أي يجود بنفسه ، ويقال : رجل قَتَّات وقَسَّاس : إذا كان نَمَّامًا[2] " .

وإبدال السِّين تاء ظاهرة لهجية نسبت لأهل اليمن تسمى بالوَتْم ، حيث يقول السُّيوطي : " الوَتم في لغة اليمن ، تجعل السِّين تاء كالنَّات في النَّاس[3] " .

وقد نسب ابن منظور هذه الظاهرة لقبيلة حمير ، حيث يقول : " وإذا قال الرجل لعدوه : لا بأس عليك ، فقد أمَّنَه ، لأنَّه نفى البأس عنه ، وهو في لغة حمير لَبَات أي لا بأس عليك[4]" .

وإذا كان صوت السِّين من الأصوات الرَّخوة ، بخلاف صوت التَّاء فهو من الأصوات الشَّديدة فلا شك أن تلك القبائل اليمنيَّة التي مالت إلى صوت التَّاء هي تلك القبائل التي هي أقرب ما تكون إلى الطَّبيعة البدويَّة " فنحن هنا أمام شعب عظيم من القبائل تنسب له صفة خاصَّة من صفات اللهجات وهي قلب صوت رخو إلى نظيره الشَّديد ، فعلينا أن نبحث في مثل هذه الحالة عن أي قبائل اليمن تلك التي مالت إلى البداوة أو عاشت قريبة من الصَّحراء ، فنجد أن أقرب قبائل اليمن إلى البداوة قبيلتان مشهورتان هما : خثعم ، وزبيد . وعليه فلا بأس من نسبة هذه الصِّفة إلى هاتين القبيلتين بين قبائل اليمن[5] " .

---

(1) الإبدال لابن السكيت صـ 104 . والبيت منسوب لعلباء بن أرقم اليشكري , وهو هجاء لبني عمرو بن يربوع , ويقال لهم بنو السَّعلاة . وذلك أنهم زعموا أن عمرو بن يربوع تزوج سعلاة ، أي غولا ، فأولدها أولادًا . ينظر : النوادر في اللغة لأبي زيد الأنصاري . تحقيق ودراسة د. محمد عبد القادر أحمد صـ 344 ، 345 – دار الشروق- الطبعة الأولى 1401 هـ -1981م، ومختصر في شواذ القرآن صـ 184 ، والإبدال لأبي الطيب اللغوي 1/ 117 ، 118 ، والصاحبي صـ139 ، وسر صناعة الإعراب 1 /172 ، والخصائص 2 / 55 ، والصحاح (س ي ن) 5/2141 , وشرح المفصل 10 / 41 ، وشرح الرضي على شافية ابن الحاجب 3 / 221 ، ولسان العرب (ن و ت) 6 / 4570 .

(2) الإبدال 1 / 118 ، 119 .

(3) المزهر 1/222 . وينظر : الصاحبي صـ 139 .

(4) لسان العرب (ب أ س) 1/ 199 .

(5) في اللهجات العربية د. إبراهيم أنيس صـ 105 .

وقد تحقَّق الإبدال بين صوتي السِّين والتَّاء في القراءات القرآنيَّة من خلال لفظة (النَّاس) ، والتي تناوب فيها صوت التَّاء مع صوت السِّين كقراءة لبعض الأعراب حدَّدها ابن خالويه بأنها لغة قضاعة حكاها أبو عمرو[1] .

وإذا كانت تلك الظاهرة قد عزيت لحمير مرَّة ، ولقضاعة مرة أخرى ، فلا تهافت في هذا العزو،لأن قضاعة على الرأي الأشهر من مالك بن عمرو بن مرَّة بن زيد بن مالك بن حمير[2].

وإذا كان أبوزيد قد ذكر عن هذا النَّوع من الإبدال بأنه من قبيح البدل ، أو من قبيح الضَّرورة[3] ، وذكره الرَّضي بأنه من الإبدال النَّادر[4] , فإن حكاية أبي عمرو بأن صيغة (النَّات) بدل النَّاس في قوله تعالى : " قل أعوذ برب النَّات " لغة قضاعة يقف في سبيل أبي زيد حيث إنَّها ضرورة وليست لغة ، ولا ضرورة في القرآن ، على أنَّه لا ضير أن تتبادل التَّاء مع السِّين فكلاهما متقارب من الآخر[5] .

(11) الإبدال بين الدال والذال

(أ) (تدَّخرون ، تَذْخرون)

قال تعالى : ﴿ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ ﴾ آل عمران (49) .

القراءة بالدَّال : الجمهور .

القراءة بالذَّال : مجاهد والزهري وأبو السَّمال وأيوب السختياني [6] .

العلاقة الصَّوتية : التَّقارب .

---

(1) مختصر في شواذ القرآن صـ 184 .

(2) اللهجات العربية في التراث 385/1 .

(3) النوادر في اللغة صـ 345 .

(4) شرح الرضي على شافية ابن الحاجب 221/3 .

(5) اللهجات العربية في التراث 384/1 ، 385 .

(6) ينظر : مختصر في شواذ القرآن صـ 27 ، وإعراب القرآن للنحاس 379/1 ، والمحرر الوجيز 3/ 98 ، وشواذ القراءة صـ 49 ، والجامع لأحكام القرآن 1444/2 ، والبحر المحيط 3 /166 ، 167 ، والدر المصون 107/1 ، 108 ، واللباب في علوم الكتاب لابن عادل . تحقيق . عادل أحمد عبد الموجود وآخرين 5 /250 – منشورات محمد على بيضون – دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان – الطبعة الأولى 1419 هـ – 1998 م . وبدون نسبة في معاني القرآن للفراء 1 /215 .

(ب) (فَشَرِّد ، فَشَرِّذ)

قال تعالى : ﴿ فَشَرِّدْ بِهِم مَّنْ خَلْفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴾ الأنفال (57) .

القراءة بالدَّال : الجمهور .

القراءة بالذَّال : المطوعي وعبد الله بن مسعود والأعمش[1] .

(جـ) (ادَّكر ، اذَّكر) ، (مدَّكر ، مذَّكر)

قال تعالى : ﴿ وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا أُنَبِّئُكُم بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ ﴾ يوسف (45) .

قال تعالى : ﴿ وَلَقَد تَّرَكْنَاهَا آيَةً فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴾ القمر (15) .

القراءة بالدَّال : الجمهور .

القراءة بالذَّال في (يوسف) : الحسن البصري ، وفي (القمر) : عبد الله بن مسعود وعيسي وقتادة[2] .

الشَّرح والتَّحليل

تبدو العلاقة الصَّوتية واضحة المعالم بين صوتي الدَّال والذَّال ، فمن ناحية المخرج نجد أن صوت الدَّال يخرج مما بين طرف اللسان وأصول الثَّنايا ، وصوت الذَّال يخرج مما بين طرف اللسان وأطراف الثَّنايا[3] .

فعند النُّطق بصوت الدَّال يوقف مجرى الهواء وقفًا تامًّا ، وذلك بأن يلتقي طرف اللسان بأصول الثَّنايا العليا ، ويرفع الحنك اللين فلا يمر الهواء إلى الأنف ، يضغط الهواء مدة من

---

(1) ينظر : المحتسب 280/1 ، والكشاف 230/2 ، ومفاتيح الغيب 520/14 ، وإملاء ما مَنَّ به الرحمن 9/2 ، والبحر المحيط 340/5 ، والدر المصون 428/3 ، وحاشية الصَّبَّان على شرح الأشموني على ألفية ابن مالك 282/4 ، وإتحاف فضلاء البشر 81/2 .

(2) ينظر : مختصر في شواذ القرآن صـ 64 ، 148 ، 149 ، والكشاف 475/2 ، والمحرر الوجيز 9 / 310 ، 301/15 ، ومفاتيح الغيب 17 / 69 ، والبحر المحيط 284/6 ، 40/10 ، والدر المصون 4 / 188 ، 6 / 227 ، والفتوحات الإلهية 457/2 ، وإتحاف فضلاء البشر 148/2 . وبدون نسبة في الكشاف في آية سورة القمر 4 / 435 ، وإملاء ما مَنَّ به الرحمن 54/2 ، 250 .

(3) ينظر : الكتاب 434/4 ، والمقتضب 329/1 ، وسر صناعة الإعراب 53/1 .

الزمن ، ثم ينفصل العضوان انفصالا فجائيًّا محدثًا صوتًا انفجاريًّا ويتذبذب الوتران الصَّوتيان أثناء النُّطق به .

وعند النُّطق بصوت الذَّال يوضع طرف اللسان بين أطراف الثَّنايا ، بحيث يكون هناك منفذ ضيق للهواء ، ويكون معظم جسم اللسان مستويًّا ، يرفع الحنك اللين ، فلا ينفذ الهواء عن طريق الأنف ويتذبذب الوتران الصَّوتيَّان عند نطقه فهو مصحوب بنغمة موسيقية[1] .

إذًا فقد تحقَّقت صورة التَّقارب المخرجي بين صوتي الدَّال والذَّال ، ولكن إن اختلف هذان الصَّوتان من جهة أن صوت الدَّال من الأصوات الشَّديدة بخلاف صوت الذَّال فهو من الأصوات الرَّخوة إلا أنَّه قد وقع بينهما اشتراك في كثير من الصِّفات الصَّوتيَّة وهي : الجهر والاستفال والتَّرقيق والانفتاح والإصمات[2] ، مما كان لهذا التَّشابه أثره الواضح في جواز وقوع الإبدال بينهما [3] .

هذا ، وقد تحقَّقت صورة الإبدال بين صوتي الدَّال والذَّال في القراءات القرآنيَّة من خلال أربعة ألفاظ هي :

(أ) (تَدَّخرون ، تَذْخرون)

ذهب علماؤنا إلى أن القراءة بصوت الذَّال هي الأصل ، بخلاف القراءة بصوت الدَّال فقد وردت على سبيل الإبدال ، حيث إن الأصل في لفظة (تَدَّخرون) هي : تَذْتَخِرُونَ : أي تفتعلون من الذُّخْر وهو التخبِئَة ، يقال : ذَخَر الشيءَ تَذْخَرُه ذُخْرًا ومَذْخُورًا أي : خَبَّأه[4] .

فالتقت الذَّال وهي حرف مجهور لا يمكن النَّفس أن يجري معه لشدَّة اعتماده في مكانه والتاء مهموسة ، فأبدل من مخرج التَّاء حرف مجهور يشبه الذَّال في جَهْرِها وهو الدَّال . فصار تَذْدَخِرُون , ثم أدْغِمَتْ الذَّال في الدَّال ، وهذا أصل الإدغام أن تُدغِم الأول في الثاني[5] .

---

(1) علم اللغة د. محمود السعران صـ 154 ، 155 ، 173 ، 174 بتصرف يسير . وينظر : الأصوات اللغوية د. إبراهيم أنيس صـ 47 ، 48 ، وعلم اللغة العام (القسم الثاني " الأصوات ") د. كمال محمد بشر صـ 102 .

(2) ينظر : الكتاب 434/4 ، 435 ، وسر صناعة الإعراب 69/1 ، 70 ، ونهاية القول المفيد صـ 44 : 53 .

(3) وقد نصَّت كتب الإبدال على صورة التَّعاقب بين الدَّال والذَّال . ينظر : الإبدال لابن السكيت صـ 140 , والإبدال لأبي الطيب اللغوي 353/1 : 362 .

(4) الدر المصون 1 /107 .

(5) معاني القرآن وإعرابه للزجاج 1 /414 . وينظر : معاني القرآن للفراء 1 / 215 ، وإعراب القرآن للنحاس 1 /379 ، 380 ، وإملاء ما مَنَّ به الرحمن 1 /136 ، ولسان العرب (ذ خ ر) 3 /1490 ، والبحر المحيط 3 /166 .

وأما القراءة الثانية وهي (تَذْخرون) : فقد جاء به مجردًا على فَعَل ، يقال : ذَخَرْته أي : خَبَّأْته[1] .

(ب) (فَشَرِّد ، فَشَرِّذ)

حاول بعض العلماء التفرقة بين دلالة اللفظتين حتى يخرج تلك الصُّورة من دائرة الإبـدال ، حيث قال قطرب : بالذال – المعجمة – : التَّنكيل ، وبالمهملة : التَّفريق , وهذا يقوِّي قول من قال : " إنَّ هذه المادة ثابتة في لغة العرب[2] " .

ولكن الرَّاجح أن اللفظتين تدوران حول معني واحد ، حيث قيل عن القراءة الأولى وهي : (فَشَرِّد) : من التَّشريد : وهو التَّطريد والتَّفريق والتَّسميع ، وهذه المعاني كلها لائقة بالآية[3] ، على معنى : " فإن تظفر بهم في الحرب وتتمكَّن منهم فَشَرِّد بهم من خلفهم ، قال ابن عباس : فنكِّل بهم من خلفهم ، وقال ابن جبير : أنذر من خلفهم عن قتل من ظفر به وتنكيله ، فكان المعنى : فإن تظفر بهم فاقتلهم قتلا ذريعًا حتى يفرَّ عنَّك من خلفهم ويتفرَّق ، ولما كان التَّشريد وهو التَّطريد والإبعاد ناشئًا عن قتل من ظفر به في الحرب من المعاهدين النَّاقضين جعل جوابـًا للشرط إذ هو يتسبَّب عن الـجواب ، وقالت فرقة : فسمِّع بهم ، وحكى الزَّهراوى عن أبي عبيدة وقال الزمخشرى : من وراءهم من الكفرة حتى لا يجسر عليك بعدهم أحد اعتبارًا بهم واتعاظًا بحالهم ، وقال الكرماني : قيل التَّشريد : التَّخويف الذي لا يبقى معه القرار أي لا ترضَ منهم إلا الإيمان أو السَّيف "[4] .

وإذا كان العلماء قد اختلفوا في توجيه القراءة الثَّانية على عدَّة أوجه وهي : " أن الذَّال بدل من الدَّال ، كما قالوا : خَرَادِيلُ وخَرَاذيل[5] ، وقيل : هو مقلوب من " شَذَّر " بمعنى فرَّق ، ومنه قولهم : " تفرَّقوا شَذَرَ مَذَرَ " ... ويجوز أن يكون من شَذَّر في مقاله : إذا أكثر فيه . ومعناه غير لائق هنا , وكل ذلك تعسف بعيد[6] " .

---

(1) الدر المصون 1/ 108 .

(2) بخلاف ما قيل من أن : الشِّين والرَّاء والذَّال المعجمة مهملة في لغة العرب . ينظر : البحر المحيط 5 /340 ، والدر المصون 3 / 428 ، 429 ، وإتحاف فضلاء البشر 2 / 81 .

(3) الدر المصون 3 / 428 .

(4) البحر المحيط 340/5 . وينظر : الكشاف 230/2.

(5) خَرْدَلْتُ اللحم : أي قطعته صغارًا ، بالدَّال والذَّال جميعًا , الصحاح (خ ر د ل) 4 / 1684 .

(6) إملاء مامَنَّ به الرحمن 9/2 . وينظر : الكشاف 230/2 , ومفاتيح الغيب 14 / 520 , ولسان العرب (ش ذ ر) 2220/4 , والبحر المحيط 5 /340 , والدر المصون 3/ 428 , 429 .

فالثَّابت عند أهل اللغة أن القراءة بالذَّال المعجمة ، ليس لغة أصلية ، وإنما أبدلها القارئ من الدَّال لمشاركتها في الجهر[1] .

ولذلك يقول ابن جني :" لم يمرر بنا في اللغة تركيب (ش ر ذ) وأوجه ما يُصْرَف إليه في ذلك أن تكون الذَّال بدلا من الدَّال[2] " .

(جـ) (ادَّكر ، اذَّكر) ، (مدَّكر ، مذَّكر)

لم يكن لتغيُّر الأصوات في هاتين القراءتين دور في تغيُّر المعنى بل معنى التَّذكُّر واضح في كليهما ، وإنما كان للتَّأثير بين الأصوات أثره الواضح فيهما ، حيث إن صوغ " افتعل " من " ذكر " يجعلنا نقف على حقيقة هذا التَّأثير ، الذي يسمى في عرف أهل اللغة بالتَّأثُر الرجعي والتَّقدمي ، حيث يمثل النَّوع الأول القراءة بالدَّال : وهو عبارة عن تأثُّر الصَّوت الأول بالثَّاني ، في حين يمثل النَّوع الثَّاني القراءة بالذَّال : وهو عبارة عن تأثر الصَّوت الثَّاني بالأول[3] .

ويحدُّثنا الدكتور / إبراهيم أنيس عن حقيقة هذا التأثير فيقول : " فصياغة " افتعل " من (ذكر ..) هي في الأصل (اذتكر) , فاجتمع في هذا المثال صوتان مجهوران : الأول منهما مجهور والثَّاني مهموس ، فتأثَّر الثَّاني بالأول وانقلب إلى صوت مجهور أيضًا ليجتمع صوتان مجهوران ، ولأن التَّاء المهموسة حين يجهر بها تصير " دالا " أصبح هذا المثال : اذدكر ، وهذا تأثُّر تقدُّمي لأنَّ الثَّاني تأثَّر بالأول [4] . على أنَّه قد أصاب هذه الكلمة تطور آخر ، إذ صارت في بعض الأحيان (اذَّكر) ، ففني الصَّوت الثَّاني في الأول ونطق بهما صوتًا واحدًا كالأول ، وهذا التَّأثر تقدُّمي أيضًا ، غير أن الشَّائع الكثير الاستعمال في " اذَّكر " هو " ادَّكر " أي أن الصَّوت الأول قد فني في الصَّوت الثَّاني ، وبذلك صار التَّأثُّر رجعيًّا[5] " .

---

(1) إعراب القراءات الشواذ للعكبرى 1 / 598 .

(2) المحتسب 1 / 280 .

(3) الأصوات اللغوية د. إبراهيم أنيس صـ 18 .

(4) ثم بدِّلت دالا غير منقوطة لقوَّة الدَّال وجلدها . المحرر الوجيز 9 /310 .

(5) السابق صـ 180 ، 181 بتصرف يسير . ويلاحظ أن الدُّكتور / أحمد مختار عمر قد استخدم لهذين المصطلحين مصطلحات أخري وهي مماثلة تقدُّمية ومماثلة رجعية . دراسة الصوت اللغوي صـ 379 . وينظر : المحرر الوجيز 9 /310 ، 15 / 301 ، ومفاتيح الغيب 29 /75 ، وإملاء ما مَنَّ به الرحمن2 /54 ، والجامع لأحكام القرآن 4 /3424 ، 9 /6533 ، والبحر المحيط 6 / 284 ، 40/10 , والدر المصون 6 /227 ، 228 ، والفتوحات الإلهية 2 /457 ، والقراءات الشاذة صـ 55 .

(12) الإبدال بين التاء والهاء (التابوت ، التابوه)

قال تعالى : ﴿ ... إِنَّ ءَايَةَ مُلْكِهِۦٓ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ... ﴾ البقرة (248) .

القراءة بالتَّاء : الجمهور .

القراءة بالهاء : أُبيُّ بن كعب وزيد بن ثابت [1] .

العلاقة الصَّوتية : التَّقارب .

الشَّرح والتَّحليل

تباعد الموقع المخرجيُّ بين صوتي التَّاء والهاء ؛ لأن صوت التَّاء كما سبق يخرج مما بين طرف اللسان وأصول الثَّنايا بخلاف صوت الهاء فهو من أسفل الحلق وأقصاه ، إضافة إلى أن التَّاء صوت شديد ، بخلاف الهاء فهي صوت رخو ، ولكن بالرغم من هذا التَّباعد فقد اشتركا في كثير من الصفات الصَّوتية وهي : الهمس والانفتاح والاستفال والتَّرقيق ، وهذا الاشتراك يكفي كمبرر لجواز وقوع الإبدال بينهما .

ولم يتم الإبدال بين صوتي التَّاء والهاء في ألفاظ العربية إلا في حدود ضيِّقة لم يذكر منها أبو الطَّيب اللغوي سوى لفظة واحدة رويت عن " الأصمعي يقال للحَزَاز في الرَّأس : التِّبْرَية والهِبْرِيَة : وهو ما تَقَشَّرَ من الهامَة من الجلد ، والتِّبْرِيَة والهِبْرِيَة أيضًا : ما تَحاصَّ من شَعر الرَّأس فوقع[2] " .

وأما عن القراءات القرآنيَّة وصورة هذا الإبدال فيها فلم تتحقَّق إلا من خلال لفظة (التَّابوت) وهي : الأضلاع وما تحويه كالقلب والكبد وغيرهما ، تشبيهًا بالصُّندوق الذي يُحْرَز فيه المتاع ، أي أنه مكتوب موضوع في الصُّندوق[3] .

وتلك هي اللفظة الوحيدة التي كانت محور خلاف بين لغة قريش والأنصار ، حيث يقول القاسم بن معن : لم تختلف لغة قريش والأنصار في شيء من القرآن إلا في التَّابوت ، فلغة قريش بالتَّاء ، ولغة الأنصار بالهاء[4] .

---

(1) ينظر : مختصر في شواذ القرآن صـ 22 ، والمحتسب 1 / 129 ، والكشاف 1 /380 ، ومفاتيح الغيب 6 / 493 ، والجامع لأحكام القرآن 3 / 248 ، وإملاء ما مَنَّ به الرحمن 1 / 61 ، والبحر المحيط 2 / 581 .

(2) الإبدال 152/1 .

(3) لسان العرب (ت ب ت) 416/1 .

(4) الصحاح (ت و ب) 92/1 . وينظر : مختصر في شواذ القرآن صـ22 ، ومفاتيح الغيب 493/6 ، وشرح المفصل10/ 45، ولسان العرب (ت و ب)454/1 ، والمزهر 73/2 ، وروح المعاني 2 / 168.

ويحاول الدُّكتور / إبراهيم أنيس إخراج هذه اللفظة من دائرة الإبدال ، فيرى أن الهاء في (التَّابوه) ليست بدلا من التَّاء وإنما هي هاء السَّكت جيء بها للوقف[1] .

ولكن الثَّابت أن الهاء في تلك اللفظة بدل من التَّاء لعدَّة أدلَّة ، ذكرها ابن جنِّي بقوله : " إن الهاء في (التَّابوه) بدل من التَّاء في (التَّابوت) ، وجاز ذلك لِمَا أذكره : وهو أن كلَّ واحد من التَّاء والهاء حرف مهموس ، ومن حروف الزِّيادة في غير هذا الموضع ، وأيضًا فقد أبدلوا الهاء من التَّاء التي للتأنيث في الوقف ، فقالوا : حمزهْ وطلحهْ ، وقائمهْ ، وجالسهْ ، وذلك منقاد مطرد في هذه التَّاء عند الوقف ، ويؤكِّد هذا أن عامَّة عُقَيْل فيما لا نزال نتلقَّاه من أفواهها تقول في الفرات : الفراه ، بالهاء في الوصل والوقف . وزاد في الأُنس بذلك أنك ترى التَّاء في الفرات تشبه في اللفظ تاء فتاة وحصاة وقطاة ، فلما وَقَف وقد أشبه الآخِر الآخر أبدل التَّاء هاء ، ثم جرى على ذلك في الوصل[2] .. " .

ويؤكِّد هذا الإبدال أيضًا ابن يعيش بقوله : " وحكى قطرب عن طيىء أنَّهم يقولون : كيف البنون والبناه ، وكيف الإخوة والأخواه ، فأبدلوا من تاء الجمع هاء في الوقف كما يبدلونها من تاء التأنيث الخالصة وذلك شاذ وقد قالوا التَّـابوه في التَّـابوت وهي لغة[3] " .

13- **الإبدال بين التَّاء والدَّال (يكبتهم ، يكبدهم)**

قال تعالى : ﴿ لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَوْ يَكْبِتَهُمْ فَيَنقَلِبُواْ خَآئِبِينَ ﴾آل عمران(127) .

القراءة بالتَّاء : الجمهور .

القراءة بالدَّال : أبو مجلز ولاحق بن حميد[4] .

---

(1) في اللهجات العربية صـ 137 بتصرف يسير .

(2) المحتسب 1/ 129 ، 130 . وينظر : الكشاف 1/380 ، والبحر المحيط 2 /579 ، وروح المعاني 2 /168 .

(3) شرح المفصل 10/ 45 . وقد اختلف العلماء في بيان أصل هذه الكلمة ، وليس أدلُّ على هذا الاختلاف من أن ابن منظور قد ذكرها في عدَّة مواد هي (ت ب ت ، ت ب هـ ، ت و ب) . لسان العرب 1 /416 ، 420 ، 454 . وينظر : المحتسب 1 / 129 ، وإملاء ما مَنَّ به الرحمن 1 / 104 ، وشرح المفصل 10 / 47 ، والبحر المحيط 2 / 579 ، والدر المصون 2/ 23 .

(4) ينظر : الجامع لأحكام القرآن 2 /1544 ، والبحر المحيط 3/337 ، والدر المصون 2 / 209 .

العلاقة الصَّوتية : التَّجانس .

الشَّرح والتَّحليل

يؤكِّد الدَّرس اللغوي على أن صوتي التَّاء والدَّال من أصوات المجموعة الكبرى التي تسمَّى بالأصوات الأسنانية اللثوية ، فكلاهما يخرج مما بين طرف اللسان وأصول الثَّنايا ، وإن كان بينهما من خلاف في عدم ذبذبة الأوتار الصوتية عند النُّطق بالتَّاء وذبذبتها عند النُّطق بالدَّال ، وهو ما يعني الهمس في الأولى والجهر في الثانية ، فإنَّ اشتراكهما في الشِّدَّة والانفتاح والاستفال والإصمات والتَّرقيق يكفي لجواز وقوع الإبدال بينهما في ألفاظ العربية .

ومن تلك الألفاظ : " يقال : هَرَت القَصَّار الثوبَ وهَرَدَهُ : إذا خَرَّقَهُ ، وثوب مَهْرود ومَهْروت ... ويقال : هَرَتَ عِرضَه يَهْرِتُه هَرْتًا ، وهَرَدَه يَهرِدُه هَرْدًا : إذا سَبَّه ... ويقال : جاءتا بعد هَدأَةٍ من الليل وهتأة من الليل ، وبعد هَدْءٍ وَهِتْءٍ من الليل : أي بعدما هَدَأَ الناس ؛ وكذلك بعد هَدِئٍ من الليل ، وهتئٍ من الليل ... ويقال : غَمَدَ سيفَه وغَمَتَهُ ، وأغْمَدَهُ وأغْمَته[1] " .

وقد تحقَّقت صورة الإبدال بين صوتي التَّاء والدَّال في القراءات القرآنيَّة من خلال لفظة (يكبتهم) ، حيث قرأها بعض القراء بالدَّال على الأصل ، بخلاف قراءة الجمهور فبالتَّاء على البدل منها ؛ لأن " أصل الكَبْتِ الكَبْد ، فقُلبت الدَّال تاء ، أُخِذَ من الكَبِد ، وهو مَعْدِنُ الغيظ والأحقاد ، فكأنَّ الغيظ ، لما بلغ بهم مَبْلَغَهُ ، أصاب أكبادهم فأحرقها ، لهذا قيل للأعداء : هُم سود الأكباد , وفي الحديث : أنَّه رأى طلحة حزينًا مكبوتًا ، أي شديد الحزن ، قيل : الأصل فيه مكبود ، بالدال ، أي أصاب الحزن كَبِدَه ، فقُلِبَ الدَّال تاء[2] " .

إذًا " فقراءة لاحق بن حميد من باب إبدال الدَّال بالتَّاء كما قالوا : هرت الثَّوب وهرده : إذا حرقه ، وسبت رأسه وسبده : إذا حلقه ، فكذلك كبت العدو وكبده : أي أصحاب كبده[3] " .

---

(1) الإبدال لأبي الطيب اللغوي 1/100: 103. وينظر:الإبدال لابن السكيت صـ 103،والمزهر 1 /464.
(2) لسان العرب 5 /3805 . وينظر : إملاء ما مَنَّ به الرحمن 2 /129 ، وبصائر ذوى التمييز في لطائف الكتاب العزيز للفيروزابادى . تحقيق . محمد على النجار 4 /321 – المجلس الأعلى للشئون الإسلامية القاهرة – 1412هـ - 2000م .
(3) البحر المحيط 3/337 . وينظر : الجامع لأحكام القرآن 2 /1544 ، والدر المصون 2 /209 .

14- الإبدال بين الثاء والفاء

(أ) (ثومها ، فومها)

قال تعالى : ﴿ فَٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ يُخۡرِجۡ لَنَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلۡأَرۡضُ مِنۢ بَقۡلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا ﴾ البقرة (61) .

القراءة بالفاء : الجمهور .

القراءة بالثَّاء : عبد الله بن مسعود وعبد الله بن عباس[1] .

العلاقة الصَّوتية : التَّقارب .

(ب) (جدث ، جدف) ، (الأجداث ، الأجداف) .

قال تعالى : ﴿ ... وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ ﴾ الأنبياء (96) .

قال تعالى : ﴿ ... فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلۡأَجۡدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ يَنسِلُونَ ﴾ يس (51).

القراءة بالثَّاء : الجمهور .

القراءة بالفاء : قرئ بها دون نسبة[2] .

الشَّرح والتَّحليل

إذا كان صوت الثَّاء من الأصوات التي تخرج مما بين طرف اللسان وأطراف الثَّنايا العليا ، وصوت الفاء يخرج من باطن الشفة السُّفلى ، وأطراف الثَّنايا العليا[3] فإنَّ التَّقارب المخرجيَّ يبدو واضحًا بينهما ، هذا بالإضافة إلى مواضع تقارب أخرى نتعرَّف عليها من خلال معرفة النُّطق بكل منهما .

فعند النُّطق بصوت الثَّاء يوضع طرف اللسان بين أطراف الثَّنايا العليا والسُّفلى بصورة تسمح بمرور الهواء من خلال منفذ ضيِّق ، فيحدث الاحتكاك ، مع عدم السَّماح للهواء بالمرور من الأنف ومع عدم تذبذب الأوتار الصَّوتيَّة .

---

(1) ينظر : معاني القرآن للفراء 1 / 41 ، والإبدال لابن السِّكيت صـ 126 , ومختصر في شواذ القرآن صـ 6 ، والمحتسب 1 / 88 ، والكشاف 1/145 ، ومفاتيح الغيب 3 / 120 ، والجامع لأحكام القرآن 1/ 463 ، ولسان العرب (ف و م) 5 / 3491 ، والبحر المحيط 1 / 376 .

(2) ينظر : مختصر في شواذ القرآن صـ 93 ، والمحتسب 2 / 66 ، والكشاف 3 / 135 ، 4 / 20 ، ومفاتيح الغيب 21/206 ، والجامع لأحكام القرآن 6 / 4522 ، 8 / 5677 ، والبحر المحيط 7/467 ، 9 / 73 ، والدر المصون 5 / 111 .

(3) ينظر : الكتاب 4 / 433 ، والمقتضب 1 / 329 ، 330 ، وسر صناعة الإعراب 1/ 53 .

وأما صوت الفاء فيتمُّ نطقه بوضع أطراف الثَّنايا العليا على الشفة السُّفلى ولكن بصورة تسمح للهواء أن ينفذ من خلالها ومن خلال الثَّنايا مع عدم السَّماح للهواء بالمرور من الأنف ، ولا تتذبذب الأوتار الصوتيَّة حال النَّطق بالفاء[1] .

ومن هنا فالتَّشابه الجامع بينهما في الصِّفات هو : الهمس والرَّخاوة والاستفال والتَّرقيق والانفتاح ، وهذه الأمور بالطبع كانت كافية كمبرِّر لجواز وقوع الإبدال بينهما .

ولم تتحقَّق قضية الإبدال بين الثاء والفاء في القراءات القرآنيَّة إلا من خلال ثلاثة ألفاظ هي :

(أ) (**ثومها ، فومها**)

اختلف العلماء حول دلالة هاتين اللفظتين هل هما بمعنى واحد فتتحقَّق فيهما قضية الإبدال ، أم أن لكل منهما معنى مستقلا فيخرجان من دائرة هذا الباب ؟ .

يقول الرَّاغب : " الفوم : الحنطة ، وقيل : هي الثَّوم ، يقال : ثُوم وفُوم – كقولهم : جدث وجدف[2] " .

وفي الإبدال لأبي الطَّيب : " والفُوم والثُوم : الحِنطة ، والثَّوم والفوم : الثُّوم من البقول أيضًا[3] " .

وعالم العربية ابن جنِّي في كتابه " المحتسب " يحكم على التعاقب بين صوتي الثاء والفاء هنا بأنَّه من قبيل الإبدال باعتبار كثرة الاستعمال وسعة التصرف في صوت الثَّاء فهي الأصل كما هي وجهة نظرة في تلك القضية فيقول : " الثَّوم والفوم بمعنى واحد ، كقولهم : جدث وجدف ، وقام زيد ثُمَّ عمرو ، ويقال أيضًا فُمَّ عمرو ، فالفاء بدل فيهما جميعًا ، وألا ترى إلى سعة تصرُّف الثَّاء في جدث ، لقولهم : أجداث ، ولم يقولوا : أجداف ، وإلى كثرة ثُمَّ وقلة فُمَّ[4] " .

---

(1) علم اللغة العام (القسم الثاني " الأصوات ") د. كمال محمد بشر صـ 118 ، 119. وينظر : الأصوات اللغوية د. إبراهيم أنيس صـ 46 ، 47 ، وعلم اللغة د. محمود السعران صـ 173 ، 174 .

(2) المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني صـ 583 – مكتبة الأنجلو المصرية 1970 . وينظر : الصحاح (ف و م) 5 /2004 ، 2005م , ولسان العرب (ث و م) 1 /524 ، والمصباح المنير (ف و م) صـ 185 .

(3) الإبدال 1 / 187 .

(4) المحتسب 1 /187 .

ولكن نجد ابن جنِّي في كتابه " سر صناعة الإعراب " يخرج هاتين اللفظتين من دائرة الإبدال فيقول : " وذهب بعض أهل التفسير في قوله عزَّ اسمه : " وفُومِها " إلى أنَّه أراد الثَّوم ، فالفاء على هذا بدل عنده من الثَّاء ، والصَّواب عندنا : أن الفُوم : الحنطة وما يختَبَزُ من الحبوب ، ويقال : فَوَّمت الخبز ، أي خبزته ، وليست الفاء على هذا بدلا من الثَّاء[1] " .

ولكن الرَّاجح أن الثَّوم والفوم بمعنى واحد ، بيَّنت ذلك "قراءة عبد الله : "وثومها " – بالثاء – فكأنَّه أشبه المعنيين بالصَّواب ؛ لأنَّه مع ما يشاكله : من العَدَس والبصل وشبهه . والعرب تبدل الفاء بالثَّاء فيقولون : جَدَث وجَدَف ، ووقعوا في عاثور شرٍّ وعافور شرٍّ[2] ، والأثاثي والأثافي[3] ".

(ب) (جدث ، جدف) ، (الأجداث ، الأجداف)

تبادلت الفاء مع الثَّاء هنا لمعنى واحد ، حيث ورد في " الصحاح " أن : " الجَدَف : القبر ، وهو إبدال الجَدَث ، قال الفراء : العرب تُعْقِبُ بين الفاء والثَّاء في اللغة ، فيقولون جَدَث وجَدَف ، وهي الأَجْدَاث والأَجْدَاف[4]" .

ويؤكِّد ابن جنِّي على ذلك باعتبار الثَّاء هي الأصل لسعة تصرُّفها ، فيقول عن لفظة " الجدث " : " هو القبر بلغة أهل الحجاز ، والجَدَف بالفاء لبني تميم ، وقالوا : أجدثت له جدثًا ، ولم يقولوا : أجدفت , فهذا يريك أن الفاء في (جَدَف) بدل من الثَّاء في جدث ألا ترى أن الثَّاء أذهب في التصرُّف من الفاء ؟ وقد يجوز أن يكونا أصلين ، إلا أن أحدهما أوسع تصرفًا من صاحبه ، كما قالوا : وكَّدْت عهده وأكَّدْته ، إلا أن الواو أوسع تصرفًا من الهمزة[5] " .

---

(1) سر صناعة الإعراب 1 /252 .

(2) وذلك إذا وقع في ورطة لم يحتسبها ولا شَعَرَ بها . لسان العرب (ع ث ر) 4 /2807 .

(3) معاني القرآن للفراء 1 /41 . وينظر : إعراب القرآن للنحاس 4 /287،ولسان العرب(ف و م) 5 /3491 ، والبحر المحيط 1/376 . والأُثْفِيَّة والإِثْفِيَّة : الحَجَر الذي توضع عليه القِدْر ، وجمعها أثافي وأثاف . لسان العرب (أ ث ف) 1 /27 .

(4) الصحاح (ج د ف) 4 /1335 . وينظر : الإبدال لابن السكيت صـ 125 ، والإبدال لأبي الطيب اللغوي 1 /192 ، والكشاف 3 / 135 ، 4 /20 ، والجامع لأحكام القرآن 6 / 4522 ، 8 /5677 ، والبحر المحيط 7 /467 ، 9 /73 .

(5) المحتسب 2 /66 0

وأما عن نسبة النُّطق بكلا الصَّوتين للهجات العربيَّة فكانت محور خلاف بين العلماء ، انحصر هذا الخلاف في شقَّين :-

1- النُّطق بالفاء لأهل الحجاز ، وبالثَّاء لبني تميم وأسد

ورد في كتب التُّراث عدَّة نصوص تؤكِّد هذه النِّسبة ، فيقول ابن السِّكيت : " وهي الأثافي ولغة بني تميم الأثاثِي[1] " .

ويقول صاحب المصباح : " الجدث : القبر والجمع أجداث مثل سبب وأسباب وهذه لغة تهامة ، وأما أهل نجد فيقولون جدف بالفاء[2] " .

وأما في نسبة النُّطق بالثَّاء لبني أسد فيقول الفراء : " وسمعت كثيرًا من بني أسد يسمى المغافير المغاثير[3] " .

وكذلك ذكر في لسان العرب : " وكَرْثأ شَعرُ الرَّجل : كثُر والتَفَّ ، في لغة بني أسد[4]".

2 – النُّطق بالثَّاء لأهل الحجاز ، وبالفاء لبني تميم

يرى ابن جنِّي أن " الجَدَث ": " هو القبر بلغة أهل الحجاز ، والجدف بالفاء لبني تميم[5]".

وفي المصباح : " وقال ابن السِّكيت : وتقول بنو تميم تلثمت بالثَّاء على الفم وغيره ، وغيرهم يقول تلفمت بالفاء[6] " .

وفي البحر : " الثَّاء للحجاز والفاء لتميم وهي بدل من الثَّاء[7] " .

---

(1) الإبدال صـ 127 . وينظر : الإبدال لأبي الطَّيب اللغوي 190/1 ، وسر صناعة الإعراب 191/1 ، والمزهر 465/1 .

(2) المصباح المنير (ج د ث) صـ 36 .

(3) معاني القرآن 41/1. وينظر : الإبدال لابن السكيت صـ 126 ، والإبدال لأبي الطيب اللغوي 1 /186 . والمغافير : صمغ شبيه بالنَّاطف ينضحه العُرْفُط فيوضع في ثوب ثم ينضح بالماء فيشرب . لسان العرب (غ ف ر) 3275/6 .

(4) لسان العرب (ك ر ث أ) 3849/5 .

(5) المحتسب 66/2 . وينظر : الكشاف 135/3 ، والدر المصون 112/5 .

(6) المصباح المنير (ل ث م) صـ 209 .

(7) البحر المحيط 7 /467 .

ولكن ما نراه أن النُّطق بالثَّاء غالبًا ما ينسب إلى بني تميم وغيرها من القبائل البدويَّة ، والنُّطق بالفاء لأهل الحجاز وغيرها من القبائل الحضريَّة ؛ لأنَّا " إذا قارنا بين صوتين مهموسين ووجدنا أحدهما أوضح في النُّطق من الآخر ، تصوَّرنا أن الكلمة حين تشتمل على المهموس الأكثر وضوحًا في السَّمع تنتمي إلى بيئة بدويَّة مثل : " تلثم " عند تميم ، وعند غيرهم " تلفم " بالفاء ، وكذلك " الأثافي " روي أن بني تميم كانوا ينطقون بها " الأثاثي " ولا شكَّ أن الثَّاء أوضح في السمع من الفاء رغم أنهما مهموسان[1] " .

وليس هناك ما يمنع أن ينسب النُّطق بالثَّاء لأهل الحجاز ، والنُّطق بالفاء لبني تميم ، لأن " القوانين التي تخضع لها اللهجات ليست كالقوانين الطَّبيعية في الكون ، تلتزم حالة واحدة لا شذوذ فيها ، بل يكتفي اللغوي عادة حين يحكم على صفات لهجة من اللهجات بالكثرة الغالبة من صفاتها[2] " .

" وعلى أيَّة حال فإن اللغة لا تعرف الاطِّراد الدَّائم الذي لا يتخلَّف[3] " .

(15) الإبدال بين الفاء والميم (تلقف ، تلقم)

قال تعالى : ﴿ ... فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴾ الأعراف (117) .

القراءة بالفاء : حفص .

القراءة بالميم : سعيد بن جبير[4] .

العلاقة الصَّوتية : التقارب .

الشَّرح والتَّحليل

كان للتقارب المخرجي بين صوتي الفاء والميم أثره الواضح في جواز وقوع الإبدال بينهما ، فصوت الفاء كما سبق يخرج من باطن الشفة السُّفلى وأطراف الثَّنايا العليا ، بينما يخرج صوت الميم مما بين الشَّفتين[5] ، فعند النُّطق به يحبس الهواء حبسًا تامًّا في الفم بأن تنطبق

(1) في اللهجات العربية د. إبراهيم أنيس صـ 115 .

(2) السابق صـ 77 بتصرف يسير .

(3) اللهجات العربية في القراءات القرآنية د. عبده الراجحي صـ 117 .

(4) ينظر : المحرر الوجيز 7 / 133 ، والجامع لأحكام القرآن 4 / 2789 ، والبحر المحيط 5 / 138.

(5) ينظر : الكتاب 4/ 433 ، والمقتضب 1 / 330 ، وسر صناعة الإعراب 1/ 53 .

الشفتان انطباقًا تامًّا : يخفض الحنك الأعلى فيتمكَّن الهواء الخارج من الرئتين بسبب الضغط من النفوذ عن طريق الأنف ، يتخذ اللسان وضعًا محايدًا ، يتذبذب الوتران الصَّوتيَّان[1] .

إذًا فكلا الصوتين شفهيَّان ، وهي نقطة الالتقاء بينهما ، إضافة إلى الاشتراك في كثير من الصِّفات الصَّوتيَّة وهي : الانفتاح والاستفال والذلاقة .

وأما عن تحقيق صورة الإبدال بينهما في القراءات القرآنيَّة فلم يرد إلا من خلال لفظة (تلقَف) ، والتي تناوب فيها صوت الميم مع صوت الفاء لمعنى واحد يجمع بينهما .

ويتضح ذلك من خلال تعليق أبي عبيدة على قوله تعالى:﴿...تَلَقَفُ مَا يَأۡفِكُونَ﴾فيقول : " أي تَلْهمُ ما يسحرون ويكذبون أي تَلْقمُه[2] " .

وكذلك يقول القرطبي : " يقال : لقفت الشيء وتلقفته : إذا أخبرته أو بلعته , تَلْقفْ وتَلْقَم وتلهم بمعنى واحد[3] " .

وبالرُّجوع إلى المعاجم اللغوية تتضح دلالة اللفظتين ، حيث ورد في لسان العرب أن " الَّلقْف : تناول الشيء يُرْمَى به إليك , تقول : لَقَّفَنى تَلْقِيفًا فَلَقِفْتُه , ابن سيده : الَّلقْفُ : سُرْعة الأخذ لما يُرْمَي إليك باليد أو باللسان ، لَقِفَه ، بالكسر ، يَلْقَفُه لَقْفًا ولَقَفًا، والْتَقَفَه وتلقَّفَهُ : تناوله بسرعة[4] " .

وأما عن دلالة " لقم " فيقول ابن منظور : " الَّلقْمُ " : سرعة الأكل والمبادرة إليه . لَقِمهُ لَقْمًا والتقمه وأَلْقَمَه إيَّاه ، ولَقِمْتُ الُّلقْمَة أَلْقَمُها لَقْمًا ، إذا أخذتها بفيك ، وأَلْقَمْتُ غيري لُقمةً فَلِقمَها . والْتَقَمْتُ الُّلقْمَة ألْتقِمُها الْتِقامًا : إذا ابْتَلعتها في مُهْلَةٍ[5] " .

(1) علم اللغة د. محمود السعران صـ 168 ، 169 . وينظر : الأصوات اللغوية د. إبراهيم أنيس صـ 45 ، 46 ، وعلم اللغة العام (القسم الثاني " الأصوات ") د. كمال محمد بشر صـ 130 .

(2) مجاز القرآن لأبي عبيدة . تعليق د. محمد فؤاد سزكين 1 /225 – مكتبة الخانجي بالقاهرة 1374 هـ – 1954 م .

(3) الجامع لأحكام القرآن 4 /2789 . وينظر : المحرر الوجيز 7 /133 ، والبحر المحيط 5 /137 ، والدر المصون 3/321 .

(4) لسان العرب (ل ق ف) 5 /4062 . وينظر : الصحاح 4 /1428 .

(5) لسان العرب (ل ق م) 5/ 4063 .

ومن هنا فدلالة اللفظتين واحدة إضافة إلى وجود التَّقارب بين الصَّوتين محور التبادل ، سواء من ناحية المخارج أم الصِّفات كما سبق ، مما أمكن من خلاله الحكم بتطبيق قضية الإبدال عليهما .

16- الإبدال بين الواو والهمزة

(أ) (وعاء ، إعاء)

قال تعالى : ﴿ فَبَدَأَ بِأَوْعِيَتِهِمْ قَبْلَ وِعَآءِ أَخِيهِ ... ﴾ يوسف (76) .

القراءة بالواو : الجمهور .

القراءة بالهمزة : سعيد بن جبير[1] .

العلاقة الصَّوتية : التَّقارب .

(ب) (وجوههم ، أجوههم)

قال تعالى: ﴿ ... تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ .. ﴾ الزمر(60).

القراءة بالواو : الجمهور .

القراءة بالهمزة : أُبيُّ بن كعب [2] .

(جـ) (أقتت ، وقتت)

قال تعالى : ﴿ وَإِذَا ٱلرُّسُلُ أُقِّتَتْ ﴿١١﴾ ﴾ المرسلات (11) .

القراءة بالهمز : نافع وعاصم وحمزة والكسائي .

القراءة بالواو : أبوعمرو وعاصم وعيسى وأيوب وأبوا لأشهب وعمرو بن عبيد وحميد ونصر والحسن ومجاهد واليزيدي وابن جماز وروح وعبد الله وابن وردان ويعقوب[3].

---

(1) ينظر : مختصر في شواذ القرآن صـ 69 ، والمحتسب 1 / 348 ، والكشاف 2 / 335 ، ومفاتيح الغيب 18 / 181 ، والبحر المحيط 6 / 306 ، والدر المصون 4 / 202.

(2) ينظر : مختصر في شواذ القرآن صـ 132 ، والبحر المحيط 9 / 216 .

(3) ينظر : معاني القرآن للفراء 3 / 222 ، والسبعة في القراءات صـ 666 ، والحجة في القراءات السبع صـ 360 ، وإعراب القرآن للنحاس 5 / 115 ، وحجة القراءات صـ 742 ، والكشف 2 / 357 ، والعنوان صـ 202 ، والإقناع صـ 480 ، والمحرر الوجيز 16 / 197 ، ومفاتيح الغيب 31 / 104 ، والجامع لأحكام القرآن 10 / 7193 ، والبحر المحيط 10 / 375 ، والدر المصون 6 / 455 ، والنشر في القراءات العشر 2 / 196 ، وغيث النفع صـ 298 ، وإتحاف فضلاء البشر 2 / 580 ، 581 . وبدون نسبة في : معاني القرآن وإعرابه 5 / 266 ، والكشاف 4 / 678 ، وإملاء ما مَنَّ به الرحمن 2 / 278 ، ولسان العرب (و ق ت) 6 / 4888 .

الشَّرح والتَّحليل

عند البحث عن صلة القرابة التي تجمع بين صوتي الهمزة والواو لانجد الأمر مقبولا من النَّاحية المخرجيَّة ، على اعتبار أن صوت الهمزة كما سبق يخرج من أقصي الحلق كما يرى القدامى ، ومن الحنجرة كما يرى المحدثون ، أما الواو فتخرج من الشَّفتين عند القدامى ، بينما تخرج من أقصى اللسان كما يرى المحدثون(1) .

فعند النُّطق بها تتخذ أعضاء النطق الوضع المناسب لنوع من الضَّمة ثم تترك هذا الوضع بسرعة إلى حركة أخرى ، وتضمُّ الشَّفتان ويسدُّ الطَّريق إلى الأنف برفع الحنك اللين ويتذبذب الوتران الصَّوتيَّان(2) .

ولكن يبدو وجه الاشتراك بينهما من ناحية أن " مخرج الهمزة أول المخارج مما يلي الحلق ومخرج الواو الشفتان وهو أول من جهة طرف الفم ، فهما مشتركان في الأوليَّة ، وفي أنَّ كل واحد منهما مقابل للآخر ، وفي أن الهمزة ثقيلة بِكُلْفَةٍ وتَهَوُّعٍ ، والواو ثقيلة لتعلقها بعضوين ، وهما الشفتان فلما اشتركا من هذه الوجوه شاع أن يبدل أحدهما من الآخر(3) ".

وإضافة إلى هذه الأوليَّة فقد اشتركا أيضًا في صفة الجهر ، ومن ثَمَّ فقد جاز وقوع الإبدال بينهما .

وقد تمَّ الإبدال بين صوتي الواو والهمزة في القراءات القرآنيَّة من خلال ثلاثة ألفاظ بيانها كما يلي :

(أ) (وعاء ، إعاء)

ذكر ابن منظور أن " الوِعاء والإعاء على البدل والوعاء ، كلُّ ذلك : ظرف الشيء والجمع أوعية " (4) .

---

(1) ينظر : الكتاب 4 / 433 ، والمقتضب 1 /330 ، وسر صناعة الإعراب 1 / 53 ، وعلم اللغة د. محمود السعران صـ 180 ، وعلم اللغة العام (القسم الثاني " الأصوات ") د. كمال محمد بشر صـ 133 .

(2) علم اللغة العام (القسم الثاني " الأصوات ") د. كمال محمد بشر صـ 133. وينظر : علم اللغة د. محمود السعران صـ 180 .

(3) إعراب القراءات الشواذ 1 /95 ، 96 .

(4) لسان العرب (و ع ي) 6 /4877 .

" فإعاء – بهمزة – أصله وِعاء ، فأبدلت الواو وإن كانت مكسورة – همزة ، وكما قالوا في وِسَادة : إسادة ، وفي وِجَاح : إجاح ، وهو السِّتر[1] ".

وإبدال الواو المكسورة الواقعة أولا همزة معروف في اللهجات العربية وبخاصَّة عند قبيلة هذيل كما ذكر أبو حيَّان : " وقرأ ابن جبير : من إعاء بإبدال الواو المكسورة همزة كما قالوا : إشاح وإسادة في وشاح ووسادة ، وذلك مطرد في لغة هذيل ، يبدلون من الواو المكسورة أولا همزة[2] " .

(ب) (وجوههم ، أجوههم)

ذكر صاحب الصحاح أن " الوجه معروف ، والجمع الوُجوه . وحكي الفراء حَيَّ الوُجُوهَ وحَيَّ الأُجُوهَ قال ابن السِّكيت : ويفعلون ذلك كثيرًا في الواو إذا انضمَّت[3] " .

(جـ) (أُقِّتت ، وُقِّتت)

ذكر علماء العربية أن الهمزة في لفظة (أُقِّتت) مبدلة من الواو ، والواو هي الأصل بدليل أن هذه اللفظة من الوقت ، " وإنما همزت لأن الواو إذا كانت أول حرف وضُمَّت همزت ... ويقولون : هذه أجوه حسان – بالهمز – ، وذلك لأنَّ ضمَّة الواو ثقيلة ، كما كان كسر الياء ثقيلا[4] " .

والنُّطق بالواو لغة سفلى مضر ... ووقِّتت – بواوين – على وزن فوعلت ، والمعنى : جعل لها وقت منتظر فجاء وحان أو بلغت ميقاتها الذي كانت تنتظره وهو يوم القيامة[5] .

---

(1) المحتسب 1 /348 . وينظر : المحرر الوجيز 345/9 ، ولسان العرب (و ج ح) 4769/6 .

(2) البحر المحيط 6 /306 . وينظر : سر صناعة الإعراب 1 /104 ، والدر المصون 4 /202 .

(3) الصحاح (وج هـ) 6 /2254 . وينظر : شرح المفصل 10/10 ,11 , ولسان العرب 4775/6 .

(4) معاني القرآن للفراء 3 /222 , 223 . وينظر : معاني القرآن وإعرابه للزجاج 5 /266 ، والمحتسب 48/1 ، والكشاف 4 /307 ، وإملاء ما مَنَّ به الرحمن 278/2 ، وإعراب القراءات الشواذ 2 /666 ، والجامع لأحكام القرآن 7193/10 ، وشرح المفصل 11/10 , والبحر المحيط 375/10 ، وإتحاف فضلاء البشر 2 /580 ، وتفسير القاسمي المسمَّي محاسن التأويل 382/9 – منشورات دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان – الطبعة الأولى 1418 – 1997 م .

(5) البحر المحيط 375/10 . وينظر : المحرر الوجيز 197/16 .

الخاتمة

بعد أن قَدَّم هذا البحث صورة نظريَّة موجزة عن قضية الإبدال اللغوي , ثم تطبيق تلك الصُّورة على الصَّوامت في القراءات القرآنيَّة من خلال عنوان :" الإبدال اللغوي بين الصَّوامت في القراءات القرآنيَّة " يمكن بعد ذلك أن أبيِّن أهم وأبرز النَّتائج التي قَدَّمها هذا البحث , وذلك على النحو التالي :-

(1) قَدَّمت هذه الدِّراسة ستَّ عشرة حالة لأربع وعشرين لفظة قرآنيَّة تحقَّقت فيهم قضية الإبدال اللغوي بين الصَّوامت في القراءات القرآنيَّة .

(2) إذا كانت العلاقات التي تُسَوِّغ الإبدال بين الصَّوامت تنحصر في أربع حالات وهي : التَّماثل , والتَّجانس , والتَّقارب , والتَّباعد , فإنَّ حالات الإبدال بين الصَّوامت في القراءات القرآنيَّة قد تحقَّقت في ثلاث منها فقط , وهي كما يلي : -

أ- حالة التَّماثل : وهي أن يتحد الحرفان مخرجًا وصفة مثل حالة الإبدال بين صوتي اللام والنون .

ب- حالة التَّجانس : وهي أن يتفق الحرفان مخرجًا ويختلفا صفة , وقد تحقَّقت هذه الحالة من خلال خمس صور للإبدال وهي : الإبدال بين صوتي الهمزة والهاء , والعين والحاء , والصَّاد والسِّين , والسِّين والزَّاي , وأخيرًا بين التَّاء والدَّال .

ج- حالة التَّقارب : تحقَّقت هذه الحالة في القراءات القرآنيَّة من خلال صورها الأربع التي تحقَّقت في ألفاظ اللغة العربية عامَّة وهي :

- الإبدال بين صوتين متقاربين مخرجًا ومتَّحدين صفة مثل حالة الإبدال بين صوتي السِّين والتَّاء .

- الإبدال بين صوتين متقاربين مخرجًا وصفة مثل حالة الإبدال بين صوتي الغين والعين , ثم الضَّاد والصَّاد والطَّاء .

- الإبدال بين صوتين متقاربين مخرجًا متباعدين صفة مثل حالة الإبدال بين الكاف والقاف .

- الإبدال بين صوتين متقاربين صفة متباعدين مخرجًا , وقد تحقَّقت تلك الصُّورة في ست حالات وهي : الإبدال بين صوتي الرَّاء واللام , والدَّال والذَّال , والتَّاء والهاء , والثَّاء والفاء , والفاء والميم , وأخيرًا الواو والهمزة .

ومن هنا فإن أكثر الحالات ورودًا هي حالة التَّقارب , وهذا يؤكِّد ما توصَّل إليه الدكتور صبحي الصَّالح عندما علَّق على علاقات الإبدال بقوله : " ولو تتبعنا مسوِّغات الإبدال في حروف المعجم العربي على ترتيبها لوجدنا علاقة التَّقارب أكثر بين تلك المسوِّغات أما التَّجانس والتَّباعد فقليلان نادران , وإن كانا يتفاوتان بين حرف وآخر[1] " .

(3) ظهر الإبدال في غالب الأحيان بين الصَّوامت في القراءات القرآنيَّة نتيجة لاختلاف اللهجات العربية منها ما ورد منسوبًا إلى قبيلته , ومنها ما لم يرد منسوبًا .

فما ورد منسوبًا إلى قبيلته قد تمثَّل في الحالات التالية .

- إبدال الحاء عينًا أو العكس كما في قراءات (عتَّى , وطلع , ونحم , وبحثرت) فقد ورد منسوبًا إلى قبيلة هذيل وثقيف .
- نسب النُّطق بالكاف لقبيلة قريش في قراءة (كشطت) في حين نسب النُّطق بالقاف لقبيلة قيس وتميم وأسد , وإن نسب في بعض الرِّوايات النُّطق بالكاف لقبيلة قيس .
- نسب النُّطق بالنُّون لقبيلة تميم في (إسرائيل) , وبني أسد في (جبريل) .
- نسب النُّطق بالصَّاد كما في قراءة (الصِّراط) وغيرها من الكلمات الأخرى إلى قبيلة بني العنبر وبني سليم وهوازن وأهل العالية وهذيل وتميم وقريش وبني كلب , في حين ورد النُّطق بالسِّين منسوبًا إلى قبيلة قيس .
- أهل اليمن بالتَّاء بدلا من السين في (الناس) .
- قريش بالتَّاء في (التَّابوت) , ولغة الأنصار بالهاء .
- النُّطق بالثَّاء لأهل الحجاز في (الأجداث) , وبالفاء لبني تميم , وإن كانت هناك روايات وردت بعكس ذلك .

(1) دراسات في فقه اللغة صـ 219 , 220 .

- إبدال الواو المكسورة الواقعة أولا همزة كان من نصيب قبيلة هذيل كما في القراءة بالهمزة في (وعاء , ووجوهم , وأقتت) .

وأما ما لم يرد منسوبًا إلى قبيلته فقد تمثَّل في حالتي النُّطق بالهاء بدل الهمزة في (إيَّاك) , والزاي بدلا من السِّين في (الرِّجس) .

(4) في نسبة النُّطق بالكاف وهي من الأصوات المهموسة إلى قبيلة قيس كما في قراءة (كشطت) , وكذلك النُّطق بالفاء وهي من الأصوات المهموسة أيضًا إلى قبيلة تميم كما في قراءة (الأجداث) وهما من البيئات البدويَّة ما يخالف ما تعارف عليه العلماء من نسبة النُّطق بالأصوات المجهورة للبيئة البدويَّة , وبالأصوات المهموسة للبيئة الحضريَّة , وفي ذلك تأكيد على " أن القوانين التي تخضع لها اللهجات ليست كالقوانين الطبيعيَّة في الكون تلتزم حالة واحدة لا شذوذ فيها , بل يكتفي اللغوي عادة حين يحكم على صفات لهجة من اللهجات بالحكم على الكثرة الغالبة من صفاتها[1] " .

(5) مَثَّل الإبدال في بعض الأحيان ظواهر لهجية مشهورة عند العرب تحقَّق من خلالها وجود العلاقة الصَّوتية بين الصوتين محور التبادل مثل ظاهرة الفَحفَحة وهي إبدال الحاء عينًا أو العكس , وكذلك ظاهرة الوَتْم وهي إبدال السِّين تاء .

(6) ظهر الإبدال في بعض الأحيان نتيجة للتَّماثل الصَّوتي كما في قراءات (تدخرون , وادكر , ومدكر) , وهي تلك الظاهرة المعروفة عند علماء اللغة بظاهرة (المماثلة) وهي : " تحول الفونيمات المتخالفة إلى متماثلة إما تماثلا كليًّا أو جزئيًّا[2] .

وقانون تلك الظَّاهرة يعتمد على " تأثر الأصوات اللغوية , بعضها ببعض , عند النُّطق بها في الكلمات والجمل , فتتغيَّر مخارج بعض الأصوات أو صفاتها , لكي تتَّفق في المخرج أو في الصِّفة , مع الأصوات الأخرى المحيطة بها في الكلام , فيحدث عن ذلك نوع من التوافق والانسجام , بين الأصوات المتنافرة في المخارج أو في الصِّفات , ذلك أن أصوات اللغة تختلف فيما بينها – كما نعرف – في المخارج – والشِّدَّة والرَّخاوة , والجهر والهمس , والتَّفخيم

(1) في اللهجات العربية د . إبراهيم أنيس صـ 77 .

(2) دراسة الصوت اللغوي د. أحمد مختار عمر صـ 387 .

والتَّرقيق , وما إلى ذلك , فإذا التقى في الكلام صوتان من مخرج واحد , أو من مخرجين متقاربين , وكان أحدهما مجهورًا والآخر مهموسًا مثلا , حدث بينهما شدٌّ وجذب , كل واحد منهما يحاول أن يجذب الآخر ناحيته , ويجعله يتماثل معه في صفاته كُلِّها أو في بعضها[1] " .

وبعد , فقد أردت من خلال هذه الدِّراسة اللغويَّة القرآنيَّة أن أضيف لبنة إلى صرح اللغة الشَّامخ , فإن أضافت فتلك نعمة تؤدِّي شكرها كما وعد ربُّنا في محكم كتابه :﴿ ... لَئِن شَكَرۡتُمۡ لَأَزِيدَنَّكُمۡ ... ﴾[2], وإن كانت الأخرى فأدعوه – عزَّ وجلَّ – أن يَمُنَّ عليَّ بنور العلم والبصيرة حتى أحظى بشرف رضوانه وجليل نعمته , وأن تكون الدِّراسات المستقبليَّة أوفر حظًّا وأتمَّ نصيبًا ﴿ ... وَٱللَّهُ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٍ ﴾[3] .

(1) التطور اللغوي مظاهره وعلله وقوانينه د. رمضان عبد التواب صـ 30 .

(2) إبراهيم من الآية (7) .

(3) البقرة من الآية (212) .

فهرس المصادر والمراجع

* القرآن الكريم .

1- الإبدال لابن السكيت . تحقيق د . حسين محمد شرف – طبعة مجمع اللغة العربية 1398 هـ - 1978 م .

2- الإبدال لأبي الطيب اللغوي . تحقيق . عزِّ الدين التنوخي – دمشق – 1379 هـ - 1960 م .

3- إتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربعة عشر للشيخ محمد البنا الدمياطي . تحقيق د . شعبان محمد إسماعيل – عالم الكتب- مكتبة الكليات الأزهرية – الطبعة الأولى 1407 هـ - 1987 م .

4- إرتشاف الضرب من لسان العرب لأبي حيان الأندلسي . تحقيق د . مصطفى أحمد النماس – الطبعة الأولى 1404 هـ - 1984م .

5- أساس البلاغة للزمخشري . تحقيق . عبد الرحيم محمود - دار المعرفة – بيروت – لبنان .

6- الاشتقاق . عبد الله أمين – مكتبة الخانجي بالقاهرة – الطبعة الثانية - 1420 هـ - 2000 م .

7- إصلاح المنطق لابن السِّكيت . تحقيق . الشيخ أحمد محمد شاكر, وعبد السلام محمد هارون – دار المعارف – الطبعة الرابعة 1368 هـ - 1949 م .

8- أصوات اللغة د . عبد الرحمن أيوب - مكتبة الكيلاني – الطبعة الثانية 1968 م .

9- أصوات اللغة العربية د . عبد الغفار حامد هلال – الطبعة الثانية 1408 هـ - 1988 م .

10-أصوات اللغة العربية د . محمد حسن جبل – الطبعة الثالثة 1413 هـ -1993 م .

11-الأصوات اللغوية د . إبراهيم أنيس – دار الأنجلو المصرية – الطبعة الخامسة 1979 م .

12-إعراب القرآن للنحاس . تحقيق د . زهير غازي زاهد – مطبعة مصطفى العاني – بغداد – الجمهورية العراقيَّة - إحياء التراث الإسلامي – 1397 هـ - 1977 م .
13-إعراب القراءات الشَّواذ للعكبري . دراسة و تحقيق . محمد السيد أحمد عزوز – عالم الكتب – بيروت – لبنان - الطبعة الأولى 1417 هـ - 1996 م .
14-الإقناع في القراءات السبع لابن الباذش . حققه . أحمد فريد المزيدي – دار الكتب العلمية – بيروت - لبنان - الطبعة الأولى 1419 هـ - 1999 م .
15- إملاء ما مَنَّ به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات في جميع القرآن للعكبري . تحقيق . د. إبراهيم عطوة عوض – دار الحديث - 1412 هـ - 1992 م .
16- أنوار التنزيل وأسرار التأويل (تفسير البيضاوي) . تحقيق د . حمزة النشرتي وآخرين 1418 هـ .
17-البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي – دار الفكر- 1412 هـ - 1992 م .
18- بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز للفيروزابادي.تحقيق . محمد علي النجار – المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – القاهرة – 1421 هـ - 2000 م .
19- تاج اللغة وصحاح العربية للجوهري . تحقيق . أحمد عبد الغفور عطار – دار العلم للملايين – الطبعة الثالثة 1404 هـ - 1984 م .
20- التجويد والأصوات د . إبراهيم نجا – مطبعة السعادة .
21- تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد لابن مالك . حقَّقه . محمد كامل بركات – دار الكتاب العربي بالقاهرة – 1388 هـ - 1968 م .
22- التطوراللغوي التاريخي د . إبراهيم السامرائي – دار الأندلس – الطبعة الثالثة 1983 م .
23- التطور اللغوي مظاهره وعلله وقوانينه د . رمضان عبد التواب – مكتبة الخانجي بالقاهرة 1417 هـ - 1997 م .
24- تفسير القاسمي المسمى محاسن التأويل- منشورات دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان – الطبعة الأولى 1418 هـ- 1997م .

25-تفسير القرآن العظيم لابن كثير – مؤسسة الريان – دار اليقين للنشر والتوزيع – الطبعة الثانية 1417 هـ -1996 م .

26-تلخيص العبارات بلطيف الإشارات في القراءات السبع لابن بليمة الهرازي . تحقيق . سبيع حمزة الحاكمى – دار القبلة للثقافة الإسلامية – جدة – مؤسسة علوم القرآن – بيروت – لبنان – الطبعة الأولى 1409 هـ - 1988 م .

27- التيسير في القراءات السبع لأبي عمرو الداني – دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان – الطبعة الأولى 1416 هـ - 1996 م.

28- جامع البيان في تأويل آي القرآن (تفسير الطبري) – دار الفكر – بيروت - لبنان - 1412 هـ - 1992 م .

29-الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي) – دار الغد العربي – الطبعة الأولى 1410 هـ - 1990 م .

30-الجني الداني في حروف المعاني للمرادي . تحقيق د . فخر الدين قباوة , ومحمد نديم فاضل – دار الكتب العلمية – بيروت - لبنان – الطبعة الأولى 1403 هـ - 1983 م .

31-حاشية الصبان على شرح الأشموني على ألفية ابن مالك – دار إحياء الكتب العلمية - مطبعة الحلبي .

32-حجة القراءات لأبي زرعة . تحقيق . سعيد الأفغاني – مؤسسة الرسالة – الطبعة الثانية 1399 هـ - 1979 م .

33- الحجة في القراءات السبع لابن خالويه . تحقيق . د . عبد العال سالم مكرم – مؤسسة الرسالة – الطبعة الخامسة - 1410 هـ - 1990 م .

34- الحجة للقراء السبعة لأبي علي الفارسي . حقَّقه . بدر الدين قهوجي , وبشير جويجاتي – دار المأمون للتراث – الطبعة الثانية 1413 هـ - 1993 م .

35- الخصائص لابن جني . تحقيق . محمد علي النجار – الهيئة المصرية العامة للكتاب – الطبعة الثالثة 1407 هـ - 1987 م .

36- دراسات في فقه اللغة د . صبحي الصالح – دار العلم للملايين – الطبعة الحادية عشرة 1379 هـ - 1960 م .
37-الدراسات الصَّوتية عند علماء التجويد د . غانم قدوري الحمد – مطبعة الخلود – بغداد – الطبعة الأولى 1406 هـ - 1986 م .
38-دراسة الصَّوت اللغوي د . أحمد مختار عمر – عالم الكتب - 1411 هـ- 1991م.
39- الدر المصون في علوم الكتاب المبين للسمين الحلبي . تحقيق . علي محمد معوض وآخرين – دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان – الطبعة الأولى 1414 هـ- 1994م .
40- ديوان امرئ القيس . تحقيق . د . محمد أبو الفضل إبراهيم – دار المعارف .
41- رصف المباني في شرح حروف المعاني للمالقي . تحقيق . أحمد محمد الخراط – مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق 1394 هـ .
42-الرعاية . مكى بن أبي طالب . تحقيق . د . أحمد حسن –دار الكتب العربية 1393 هـ - 1973 م .
43- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني للألوسي . حقَّقه . علي عبد الباري عطية – دار الكتب العلمية – بيروت - لبنان .
44- السبعة في القراءات لابن مجاهد . تحقيق . د . شوقي ضيف – دار المعارف – الطبعة الثالثة 1400 هـ .
45-سر صناعة الإعراب لابن جني . تحقيق . مصطفي السقا وآخرين – مطبعة الحلبي – الطبعة الأولى 1374 هـ - 1954 م .
46- شرح التصريح على التوضيح للشيخ خالد الأزهري –دار احياء الكتب العربية – فيصل عيسى البابي الحلبي .
47- شرح الرضى على شافية ابن الحاجب . حقَّقه . محمد نور الحسن وآخرون – دار الكتب العلمية – بيروت - لبنان –1402 هـ - 1982 م .
48- شرح المفصل لابن يعيش – عالم الكتب – بيروت .

49-شواذ القراءة واختلاف المصاحف للكرماني – نسخة مصورة من المخطوط رقم 224 قراءات - مكتبة الجامع الأزهر .

50-الصاحبي لابن فارس . تحقيق . السيد أحمد صقر – مطبعة الحلبي – دار إحياء الكتب العربية .

51-العربية . يوهان فك . ترجمة د . رمضان عبد التواب – مكتبة الخانجي بمصر – 1400 هـ - 1980 م .

52-العربية الفصحى . هنري فليش . تحقيق . د . عبد الصبور شاهين – مكتبة الشباب – الطبعة الثانية 1997 م .

53-العقد الفريد في فن التجويد . الشيخ علي بن أحمد صبرة . حقَّقه . د . شعبان محمد إسماعيل – المكتبة الأزهرية للتراث .

54-علم الأصوات . تأليف . برتيل مالمبرج . تعريب د . عبد الصبور شاهين – مكتبة الشباب 1984 م .

55- علم الصَّوتيات د . عبد الله ربيع , د . عبد العزيز علام – المكتبة التوفيقية .

56-علم الصَّوتيات وتجويد آيات الله البينات د . إبراهيم محمد أبو سكين – الطبعة الأولى 1421 هـ - 2000 م .

57-علم اللغة العام (القسم الثاني " الأصوات ") د . كمال محمد بشر – دار المعارف بمصر – 1969 م .

58-علم اللغة مقدمة للقارئ العربي د . محمود السعران –دار الفكر العربي - 1412 هـ - 1992 م .

59- العنوان في القراءات السبع لإسماعيل بن خلف الأنصاري.حقَّقه د . زهير زاهد , و د . خليل العطية – عالم الكتاب – الطبعة الثانية 1406 هـ - 1986 م .

60- العين للخليل بن أحمد الفراهيدي . تحقيق . د . مهدي المخزومي , د . إبراهيم السامرائي – بيروت – لبنان – الطبعة الأولى 1408 هـ - 1988 م .

61-غيث النفع في القراءات السبع للصفاقسي – دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان – الطبعة الأولى 1419 هـ - 1999 م .
62-فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني – طبعة دار الحديث – القاهرة – الطبعة الأولى 1419 هـ - 1998 م .
63- الفتوحات الإلهية لسليمان عمر العجيلي الشهير بالجمل – مطبعة الحلبي . د . ت.
64- فقه اللغة د . علي عبد الواحد وافي – دار نهضة مصر .
65- فقه اللغة . محمد المبارك – مطبعة جامعة دمشق .
66-في اللهجات العربية د . إبراهيم أنيس – مطبعة الأنجلو المصرية – الطبعة السادسة 1984 م .
67- الفلسفة اللغوية والألفاظ العربية د . جرجي زيدان – دار الهلال – الطبعة الثانية 1904 م .
68-القاموس المحيط للفيروزابادي – الهيئة المصرية العامة للكتاب 1400 هـ - 1980 م .
69- القراءات الشاذة وتوجيهها من لغة العرب – عبد الفتاح القاضي – الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية 1395 هـ - 1975 م .
70- القراءات القرآنيَّة في ضوء علم اللغة الحديث د . عبد الصبور شاهين – مكتبة الخانجي بالقاهرة 1966 م .
71-قضايا ونظرات في فقه اللغة العربيَّة د . إبراهيم محمد أبو سكين – الطبعة الثانية 1996 - 1997 م .
72-كتاب سيبويه . تحقيق . عبد السلام محمد هارون – دار الجيل – بيروت – الطبعة الأولى 1411 هـ - 1991 م .
73- الكشاف عما بين القراءات العشر من خلاف د . أحمد محمد إسماعيل البيلي – الدار السودانية للكتب – الطبعة الأولى 1419 هـ - 1998 م .
74- الكشاف للزمخشري – دار الكتاب العربي .

75- الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها . مكي بن أبي طالب القيسي . تحقيق د . محيي الدين رمضان – مؤسسة الرسالة – الطبعة الرابعة 1407 هـ – 1987 م .

76-لسان العرب لابن منظور الإفريقي . تحقيق . عبد الله على الكبير وآخرين – مطبعة دار المعارف .

77- اللباب في علوم الكتاب لابن عادل . تحقيق . عادل أحمد عبد الموجود وآخرين – منشورات محمد علي بيضون – دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان – الطبعة الأولى
1419 هـ – 1998 م .

78- اللهجات العربية د . إبراهيم محمد نجا – مطبعة السعادة 1396 هـ – 1976 م .

79-اللهجات العربية في التراث د . أحمد علم الدين الجندي – الدار العربية للكتاب 1384 هـ – 1965 م .

80-اللهجات العربية في القراءات القرآنيَّة د . عبده الراجحي – دار المعرفة الجامعية 1996 م .

81-اللهجات العربية نشأة وتطورًا د . عبد الغفار حامد هلال – مكتبة وهبة – الطبعة الثانية 1414 هـ – 1993 م .

82-مجاز القرآن لأبي عبيدة – مكتبة الخانجي بالقاهرة – 1374 هـ – 1954 م .

83-مجمع البيان في تفسير القرآن للطبرسي – منشورات دار مكتبة الحياة – بيروت – لبنان .

84- المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها لابن جني . تحقيق . علي النجدي وآخرين – القاهرة 1415 هـ – 1994 م .

85-المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية . تحقيق . أحمد صادق الملاح – القاهرة – 1394 هـ – 1974 م .

86-مختصر في شواذ القرآن من كتاب البديع لابن خالويه . نشر ج . برجشتراسر – طبعة مكتبة المتبني – القاهرة .

87- المخصص لابن سيده – دار إحياء التراث العربي - بيروت – لبنان – الطبعة الأولى 1417 هـ - 1996 م .

88-المزهر في علوم اللغة للسيوطي . تحقيق . محمد جاد المولى وزميليه - دار التراث - الطبعة الثالثة د.ت .

89-مشكلة الهمزة العربية د . رمضان عبد التواب – مكتبة الخانجي – الطبعة الأولى 1417 هـ - 1996 م .

90-المصباح المنير للفيومي – مكتبة لبنان – بيروت 1990 م .

91- معاني القرآن للأخفشي الأوسط . تحقيق د . فائز فارس – الكويت – الطبعة الثانية 1401هـ - 1981 م .

92-معاني القرآن للفراء . تحقيق . أحمد يوسف نجاتي , محمد علي النجار – طبعة الدار المصرية للتأليف والترجمة .

93-معاني القرآن وإعرابه للزجاج . تحقيق . د . عبد الجليل شلبي – دار الحديث – القاهرة – الطبعة الثانية1418 هـ - 1997 م .

94-معاني القراءات للأزهري .تحقيق د .عيد مصطفى درويش , د. عوض بن حمد القوزي – الطبعة الأولى 1412هـ - 1991 م .

95-مغني اللبيب لابن هشام – المطبعة التجارية 1356 هـ .

96-مفاتيح الغيب للفخر الرازي – الهيئة المصرية العامة للكتاب – الطبعة الأولى 1401 هـ - 1981 م .

97- المفردات في غريب القرآن للراغب الأصبهاني – مكتبة الأنجلو المصرية 1970م.

98- المقتضب للمبرد . تحقيق . د . محمد عبد الخالق عضيمة – المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – لجنة احياء التراث الإسلامي – 1385 هـ .

99- الممتع في التصريف لابن عصفور . تحقيق . د . فخر الدين قباوة – الدار العربية للكتاب – الطبعة الخامسة 1403هـ - 1983 م .

100-من أسرار اللغة د . إبراهيم أنيس – مكتبة الأنجلو المصرية – الطبعة السادسة 1978 م .

101-مناهج البحث في اللغة د . تمام حسان – طبعة دار الثقافة – الدار البيضاء – المغرب – 1400 هـ - 1979 م .

102-من لغات العرب لغة هذيل . د . عبد الجواد الطيب د . ت .

103-موسوعة الحروف د . إيميل بديع يعقوب – دار الجيل – بيروت 1408 هـ - 1988 م .

104-موسيقى الشعر د . إبراهيم أنيس – دار الأنجلو المصرية – الطبعة السادسة 1988 م .

105-النشر في القراءات العشر لابن الجزري – دار الكتب العلمية – بيروت - لبنان .

106-نهاية القول المفيد . محمد مكى نصر – مطبعة الحلبي – 1394 هـ.

107-النوادر في اللغة لأبي زيد الأنصاري . تحقيق ودراسة . د . محمد عبد القادر أحمد – دار الشروق - الطبعة الأولى 1401 هـ - 1981 م .

108- همع الهوامع في شرح جمع الجوامع للسيوطي –مطبعة السعادة – الطبعة الأولى 1327 هـ .

109-وقفات تأملية مع فقه اللغة العربية د. يحيى الجندي – الطبعة الأولى 1423هـ - 2003م .

فهرس الموضوعات